

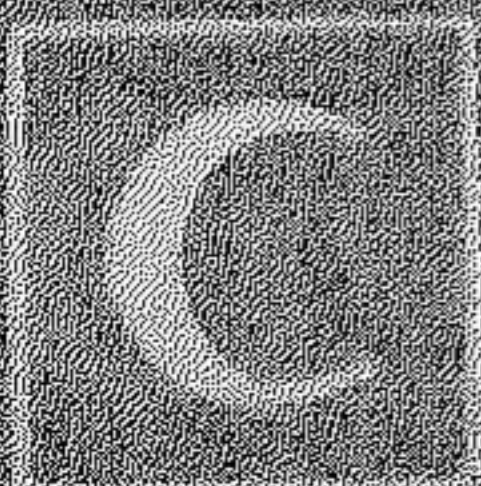
كتاب الحلال

تفسير الأحكام

تبسيط وتأخير الدكتور
نظمي لوفتا

للعالم النفساني

سيجموند فرويد



سلسلة ثقافية شهرية

0197078



Bibliotheca Alexandrina

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس التحرير: طاهر الطنجاوي

العدد ١٣٧ - ربيع الاول ١٣٨٢ - أغسطس ١٩٦٢

No. 137 - AOUT 1962

مركز الإدارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب
التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي : (١٢ عددا) في الجمهورية
العربية المتحدة والسودان ١٠٠ قرش صاغا - في
سوريا ولبنان ١٢٥٠ قرشا سوريا لبنانيا - في بلاد
اتحاد البريد العربي بالبريد البحري ١٣٠ قرشا صاغا
و (بالطائرة) ١٧٨ قرشا صاغا - في الأمريكتين ٥
دولارات ونصف - في سائر أنحاء العالم ١٧٠ قرشا
صاغا أو ٣٥ شلنا

اهداءات ٢٠٠١

أ.د. محمد كدي

جراح بالمستشفى الملكي المصري

تفسير الأحلام

للحاج الميرزا محمد باقر
ميرزا محمد باقر

تبسيط وتلخيص
الدكتور فاضل

حقوق الطبع محفوظة لدار المسال

فهرس

صفحة

٧	مؤلف الكتاب
	الفصل الاول :
١٢	التراث العلمى والاحلام
٢٤	السبيل الى التأويل
٢٨	حلم يوليو ١٨٩٥
	الفصل الثانى :
٣٨	تحقيق الرغبة
٤٤	لماذا تتشوه الاحلام ؟
	الفصل الثالث :
٥٤	عناصر الحلم
٦١	أحلام نموذجية
	الفصل الرابع :
٧٦	عمليات الحلم الاول
٨٩	الرمزية فى الاحلام

صفحة

الفصل الخامس :

- أضغاث أحلام ١٠٤
أحلام غير معقولة ١١٤

الفصل السادس :

- الحالة الانفعالية فى الحلم ١٣٠
حالات انفعالية أخرى ١٤٢
لماذا ننسى أحلامنا ؟ ١٤٨

الفصل السابع :

- أساليب تحقيق الرغبة ١٥٦
حلم نموذجى ١٦٤

الفصل الثامن :

- تطور الجهاز النفسى ١٧٢
لماذا يوقظنا الحلم ؟ ١٨٠
الكبت ١٨٣
من اللاشعور الى الواقع ١٨٨



مؤلف الكتاب

فى السادس من شهر مايو عام ١٨٥٦ ، وفى مدينة صغيرة هى فرايبيرج فى مورانيا التى يسكنها خليط من الالمان والتشييك لايزيد عددهم على خمسة آلاف نسمة ، ولد طفل اسمه سيجموند فرويد فى بيت متواضع مكون من طابقين ، عتيق البناء ، منفصل عن سائر بيوت الجيران وواجهته عاطلة من الزينة والزخرف ..

ولد هذا العالم الذى سيعنى بالشذوذ النفسى فى أسرة فيها الكثير من غير المألوف .. فأمه الحسناء الورعة الرقيقة فى التاسعة عشرة من عمرها ، وأبوه قد نيف على الخمسين .. وهو وحيد أبويه ، وله مع ذلك اخوة من زوجة متوفاة لآبيه هم أكبر من أمه سنا ، وله ابن أخ يكبره بعام .. وعلاقته بأبيه أقرب الى علاقة الحفيد ، وعلاقته بأخويه الكبارين أقرب الى علاقة الابن ، وعلاقته بابن أخيه أقرب الى علاقة الاخ الاصغر ، ووضعته بالنسبة لابن أخيه يعطيه الحق فى الاحترام .. وتقاربهما فى السن يجعلهما أخوين ورفيقى لعب ولهو ، والوضع الواقعى يجعل المم سيجموند عرضة للكلمات وصفعات ابن أخيه جون .. فيحنق عليه ويجتمع فى قلبه له النقيضان من حب وبغض ، ويكون فى حرب مستمرة معه للمحافظة على هيئته السلبية ..

والاب القاسى يثير فى الطفل المدلل من أمه الخوف ،
فيدخر له ذلك الطفل الشعور بالمنافسة لانه يزحمه فى
عطف أمه ورقتها ، ولكن ما أن يبلغ الطفل الثامنة حتى
يصحبه الاب فى نزهاته ، وتتصل بينهما صداقة تزداد
على مر الأيام توطدا .. ولكنها لا تستبعد من نفس
الطفل ذكريات الحسد والمنافسة ، فتجتمع النقائص فى
عواطفه وتكون نفسه اليافعة مسرحا لصراع السخائم
والمودات ولتناقض الواقع والمفروض ومفارقة الحقيقة
والمنطق ..

ولم يكن هذا هو كل ما ادخرته الحياة من دروس
التناقض والصراع لذلك الطفل .. فقد شاءت ظروف
ديانته وقوميته النمساوية أن تجعله فى امبراطورية
فرانسوا جوزيف .. عرضة هو وآله للاضطهاد والتعقب
ومصادرة الرزق والالتواء بالحقوق المدنية حتى اضطر
أبوه أن يهاجر به الى فيينا ، واضطر أخواه الكبار
للهجرة الى انجلترا .. فأبوه وأخوته كانوا من أهل
صناعة النسيج ..

وتتم الصورة بأن يكون الانقلاب الصناعى على أشده
عند مولد سيجموند ، فتضطرب الاصول الاقتصادية
والاجتماعية ، وتهتز التقاليد الزراعية والقروية
والبورجوازية عموما .. بل يهتز فى نفس الفتى مفهوم
الوطنية ومفهوم التعاطف الاجتماعى ، ولا يكون له
ملاذ سوى حنان أمه الفياض ..

وفى العام الثالث من عمره ، ولدت شقيقته الصغيرة
فعرفت القيرة كما عرف التدليل .. ولهذا السبب ظل
فرويد الى ختام حياته يقول : ان أسعد وأجمل أيام
عمره هى السنوات الثلاث الاولى من مراحل طفولته فى
فرايبورج ..

والمعنى الخفى يتضح حين ينادى فى كتبه العلمية أن
الاساس التكوينى للحياة النفسية عند الانسان يتم فى
السنوات الثلاث والاولى من العمر ، وقد ظل يحلم
بمواقف من تلك المرحلة الى ما بعد ذلك بأربعين عاما
تقريبا أحلاما واضحة ، كانت عنصرا أساسيا من عناصر
كتابه الباهر « تفسير الأحلام » ..

وفى فيينا ، شاء القدر لسيجموند فرويد الشاب أن
يلتقى بأستاذ خارق للعادة فى تأثيره الشخصى هو
« ارنست بروكه » الذى يشير اليه فى أحلامه بأنه الشيخ
« بروكه » أو « بروكه » المعجوز .. فقد كان ذلك الرجل
فنانا فى مغامراته وبحوثه العلمية ، يعتمد على فطنته
وبصيرته الملهمه .. فكان أشبه شىء فى روحه الشاعرة
بالفرنسى العظيم « باستير »

وفى معمل « بروكه » لوظائف الاعضاء قضى سيجموند
فرويد ستة أعوام يعمل ليل نهار ، وقد بهرتة الأبحاث
الفسولوجية الطريفة ، وقد وجهه « بروكه » الى دراسة
المنخ والاعصاب .. وأدى ذلك الى توضيح غير هينة من
الطالب الفقير الذى كان أول فرقة طوال مراحل
الدراسة ، وهذه التوضيح أنه تخلف بضع مرات من
دخول امتحان اجازة الطب ، فلم يحصل على تلك
الاجازة الا بعد ثمانية أعوام من الدراسة بدلا من خمسة
أعوام على الأكثر ..

وهنا تظهر أريحية الاب الذى ترك لابنه العنان ، وهو
معسر .. مع أن العمل فى تلك الأبحاث لم يكن ليؤدى
الى أية مزية مادية ، ولا سيما فى نظر رجل من رجال
الصناعة ..

وبعد التخرج لم يعمل بالطب الا قليلا .. والتقى
وهو طبيب امتياز بعالم آخر هو « ماينرت » الذى وجهه

الى جراحة المخ ، وسهل له - بعد ذلك - الحصول على
منحة دراسية في باريس ليدرس الامراض العصبية على
يد العلامة الفرنسي الكبير « شاركو » ..
وفي سبيل تلك الدراسة ضحى فرويد بتضحية
أخرى عاطفية ، اذ اجل عقد زواجه خمسة اعوام ..
وعاش في باريس في رهبانية علمية ، وجرب بنفسه
معنى الكبح لفريزته وفاء لخطيبته ..

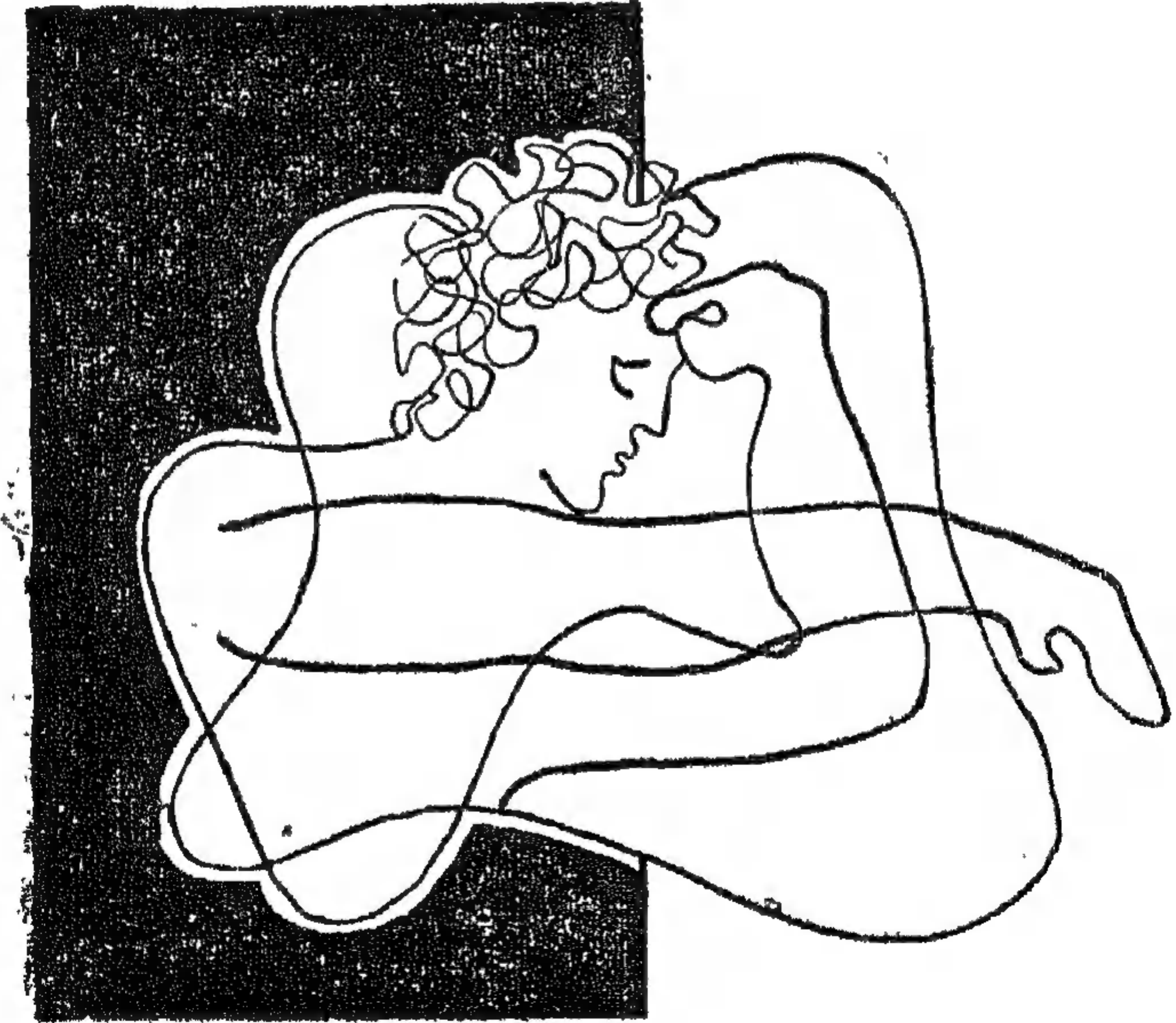
ومهما اختلفت الآراء في سيجموند فرويد فهو من أكثر
الناس تأثيرا في التيار العلمي .. ولا محيص من الاعتراف
بأن العلم بعد فرويد غير العلم قبل فرويد ، ولا سيما
فيما يتصل بجميع وجوه الحياة النفسية

والرجل بعد ذلك مثقف ثقافة واسعة ، ومحفوظاته
من الشعر في جميع اللغات الحية تثير الدهشة .. وفطنته
الفنية خارقة للمعتاد ، ولكن الكتاب علمي في مادته
وأسلوبه ومنهجه لا يقدر على هضمه الا اهل الصناعة
المتخصصين ، فكانت مهمتي الاولى أن اجعل منه خلاصة
ميسرة للمثقف العادي من سواد القراء في لغتنا العربية ..
وقد المنا في هذا الكتاب بأطراف الموضوع ، وتركنا
جانبا ما لا يشغل الا المتخصص ، حتى تأتي هذه الصفحات
سائغة المذاق منظوية على خلاصة شاملة للباب ذلك البحث
الخطير ..

دكتور نظمي لوقا

الفصل الأول

التراث العالمي والتأهيل • السبيل إلى التأويل
عام يوليو سنة ١٨٩٥



التراث العلمى والاحلام

ان هدفى الاول ان اثبت بصورة قاطعة ان تفسير احلامنا على ضوء المنهج النفسى امر مستطاع ، وان اتباع ذلك المنهج كفيل ان يدلنا على الصلة بين موضوع احلامنا وما تضطرب به نفوسنا من الشواغل .. حتى اذا تم لى الوصول الى هذه الغاية بينت للقارىء كيف ان ما يتراءى لنا فى الاحلام لابد ان يلتوى مبناه وتقمض معالنه بتأثير من النشاط النفسى ذاته

والاهتمام بمادة الاحلام قديم قدم النفس البشرية .. بل ان الشعوب البدائية كانت تهول من امر الاحلام وما يتراءى فيها تهويلا لا نعهده لدى ابناء الحضارة ، ونلاحظ ان القدماء على العموم كانوا يعتقدون انهم يرون فى منامهم صورا ترد عليهم من عالم ما فوق الطبيعة .. فالاحلام انما هى رسائل كائنات الهية فوق مستوى البشر .. وتعتبر عن تلك الارادات الخارقة للطبيعة ، ولذا كانوا يهتمون بما يرونه فى احلامهم ليعرفوا عنه مدلولات الغيب وما سطر لهم فى لوح القدر ..

وهذا ما كان القدامى من العلماء يسمونه فن « التأويل » او فن « العرافة » ..

ثم جاء ارسطو بتفكيره العلمى ، فكان اول من ارسى وجهة النظر النفسية فى دراسة الاحلام ، وكان المعلم الاول حاسما فى قوله ان الاحلام ليست رسائل ترد

علينا من الآلهة ، وأنها لا تكشف لنا شيئا من المصادر الخارقة للطبيعة .. وإنما الأحلام عنده لون من النشاط النفسي يصدر عن النائم بحسب الظروف التي يكون عليها في نومه ..

وإدخل أرسطو عنصر التجريب ، كما استفاد من التجارب العارضة ، لتكوين رأى واقعى عن الأحلام .. فيذكر أن الحالم قد يتعرض لمؤثرات وهو نائم ، فيجسم الحلم هذه المؤثرات ويضفى عليها المبالغة والتهويل .. ولربما رأى النائم أنه يشوى وسط حريق ذات لهب ، ثم يستيقظ فإذا بطرف من أطرافه قد عرضت له بعض السخونة لسبب من الأسباب كاقترابه أو تعرضه للظى المدفأة أو حرارة المصباح .. !

وما أوسع الشقة بين هذا التفكير الواقعى المتزن وبين قول من سبقوه أن الحلم لا تحدثه النفس النائمة ، بل يرد على تلك النفس من لدن الآلهة في عالمهم العلوى .. ولم يندثر هذا الرأى البدائى ، بل ظل سواد الناس يرون الأحلام على ضربين : فالضرب الأول منها ، ما ينتج عن شواغل الشخص الحاضرة .. كأن يحلم الجائع أنه ينال شبعه من وليمة حافلة بأطياب الطعام ، أو يحلم الخائف بكابوس يروده ، وليس لهذا الضرب من الأحلام دلالة تنبؤية تنصرف الى المستقبل .. وأما الضرب الثانى من الأحلام ، فلا ينصرف الى الحاضر بل ينحو الى المستقبل ، ويكشف النقاب عن جانب من محجبات الغيب ، وهذا الضرب من الأحلام قد يأتى على صورة بشارة ، أو نذير مسموع فى الحلم ، أو رؤيا تصور ما سيحدث بعد حين بصورة واضحة مباشرة لا تحتاج الى تأويل .. وأما أن يكون رمزا يتأوله أهل الدراية هذه النظرة الى الأحلام عاشت قرونا طويلة .. ولم

تزل صاحبة السلطان عند الاكثرين من عامة الناس في كل مكان ، وهى نظرة كان من الطبيعى أن تتراعى لاقوام يرون العالم كله مسيرا بارادة او ارادات خارجة .. فلا عجب ان تسقط هذه النظرة على عالم آخر غير عالمنا اشياء لا مصدر لها الا دخيلة النفس ..

ومع هذا لم تعدم الاحلام علماء يحاولون معالجة الموضوع بالعقلية العلمية ، وسنعرض الى نماذج من تلك المحاولات تبين لنا معالم الطريق التى نسلكها بادئين من حيث انتهى أولئك السلف ..



وأول رأى تتناوله يدنا هو ما كتبه أحد علماء وظائف الاعضاء القدامى وهو « بورداخ » :

— ان الحلم ليس تكريرا لما يمر بنا فى اليقظة من خير أو شر ومتعة أو تقزز .. بل العكس هو الصحيح ، فالأرجح ان الحلم يرمى الى تفرغ عقلنا من كل هذه الانطباعات كي يوفر لنا الراحة من عبء شحنات اليقظة بما فيها من خير وشر ..

وهذا رأى يكاد يكون فريدا فى بابيه ، لان الكثرة من المؤلفين والكتاب يرون فى الحلم نوعا من الاستمرار لما كان يشغل النفس فى حال اليقظة .. فهذا « هافنر » يقول :

— الحلم ان هو الا استئناف على نحو ما لحياة اليقظة ، واذا تأملنا أحلامنا وجدنا أن هناك باستمرار صلة بينها وبين الامور التى كانت تشغل تفكيرنا قبل النوم ، ومهما خفيت تلك الصلة ، فالملاحظة الدقيقة تستطيع أن تدلنا على اتصال ولو دقيق بين ما رأيناه فى الحلم وما وقع لنا فى النهار السابق ..

ولعل « فيجانت » كان أشد الجميع وضوحا في معارضة رأى « بورداخ » فيقول :

— ان الحلم لا يبعد بنا عن الواقع ، بل هو على العكس يعود بنا ونحن نيام الى ما ابتعدنا عنه من شواغل اليقظة ..

أما الفيلسوف « ي . ناص » فيقول :

— اننا في الغالب ندور في أحلامنا حول الموضوعات التي كان لها أكبر الاثر في وجداننا .. وهذا يدل على أن مشاعرنا لها دخل كبير في خلق أحلامنا .. فمن كان طموحا دارت أحلامه حول أكاليل الفار ، ومن كان عاشقا دارت أحلامه حول معبودة قلبه !

وهذه الاقوال المقتبسة كافية لبيان التناقض في تحديد العلاقة بين مادة الاحلام وحياة اليقظة .. ذلك التناقض الذي لفت نظر « هيلد برانت » فكتب يقول :

— ان الحلم شيء مقتطع من الواقع الذي نعرفه في يقظتنا اقتطاعا تاما .. حتى انه يسوغ لنا أن نقول ان الحلم له وجوده المستقل بذاته كالجزيرة المنعزلة عن الشاطئ ، وبينهما بحر لا يمخر له عباب .. فالحلم بهذه الصفة يسدل على الواقع المألوف ستارا كثيفا ، ويحررنا من سيطرته ، ويجعلنا نعيش في فترة الحلم قصة مختلفة التركيب كل الاختلاف عن قصة حياتنا الحقيقية .. ولكن في الوقت نفسه ، نلاحظ أن هناك تيارا في الاحلام يرتبط بواقع اليقظة مما يدل على أن استقلال الحلم عن اليقظة ليس استقلالاً تاماً .. بدليل أن الوقائع المفردة التي تتكون منها قصة الحلم مستمدة حتما من تجاربنا الذهنية التي تكونت في اليقظة ، ولذا فمهما بلغت درجة الحلم من الغرابة ، أو السخافة فلبتات بنائه مستعارة

حتمًا مما رآه أعيننا أو خطر لبالناس ونحن نمارس
نشاطنا الواعى ..

ولكننا نلاحظ أحيانًا ما يبدو متعارضًا مع ذلك
الرأى الأخير .. وأعنى بذلك أننا قد نرى فى الحلم بعض
التفاصيل التى نعتقد أنه ليست لدينا فكرة عنها فيما
سبق من خبرات اليقظة ..

وأطرف مثل أعرفه لذلك ما رواه « ديلبوف » من أنه
رأى فيما يرى النائم أن الثلج قد غمر فناء منزله « فطمر
- فيما طمر - اثنتين من الزواحف الصغيرة من نوع
الحرباء حتى أوشكنا أن تتجمدا .. فرق لهما قلبه «
ورفعهما من الثلج « ويسر لهما التدفئة « ثم وضعهما فى
طاق بالجدار « وقدم إليهما من الاوراق الخضراء لنبات
وجد نفسه وهو فى الحلم يعرف اسمه اللاتينى بدقة ..
ونظر الى الحرباءين فاذا موكب من تلك الزواحف الصغيرة
يتسلق الحائط زاحفا نحو الطاق .. !

ولما استيقظ « ديلبوف » من ذلك الحلم « عجب أشد
العجب لانه لم يكن يعرف فى يقظته الاسم اللاتينى لذلك
النبات الاخضر .. وأخذ ينقب فى القواميس ، واذا به
يجد الاسم الذى عرفه فى الحلم صحيحا !

ولم يكن من المستساغ تفسير ذلك بعامل الصدفة ..
ولذا شعر « ديلبوف » بأن فى الامر لغزا ، وظل هذا
اللفز يحير الفيلسوف بغير جدوى ستة عشر عاما الى أن
ذهب لزيارة أحد أصدقائه ، فرأى عنده البوما به نماذج
من الازهار المجففة التى تباع فى سويسرا للسائحين ،
وعلى الفور تذكر شيئا قديما جدا يرتبط بهذا السجل
السياحى « ففتحه بلهفة واذا به يجد نموذجا لذلك
النبات الذى رآه فى الحلم ، ووجد تحته ذلك الاسم

اللاتينى مدونا بخط اليد .. ويخط من .. بخط
« ديلبوف » نفسه !

وعندئذ فقط عرف « ديلبوف » حل اللغز الذى حيره
سته عشر عاما .. فقبل حلمه بعامين كانت أخت صديقه
الذى يزوره فى ذلك اليوم تقوم برحلة شهر العسل ،
ومرت فى طريقها بيت « ديلبوف » ونزلت ضيفه عليه ،
وقد أحضرت معها من سويسرا ذلك الالبوم وفى نيتها أن
تهديه الى أخيها ، وتذكر « ديلبوف » أنه ساعد العروس
بأن كتب بخط يده تحت نموذج كل نبات فى الالبوم اسمه
العلمى باللاتينية مستعينا فى ذلك بأحد المتخصصين فى
علم النبات ..



وهذا يبين لنا أن ما نظنه لغزا فى الحلم ، لابد أن يكون
ذكرى واقعية منسية !

ومن طرائف الاحلام أيضا أن ما يعجز عن التعرف اليه
فى حلم ، قد يقوم حلم آخر بدور المذكر فيه ، ومن ذلك
ما رواه أحدهم :

— رأيت فيما يرى النائم ، ذات مرة ، حسناء ذهبية
الشعر تطلع أختى على قطعة من أشغال التطريز ،
وشعرت فى الحلم أن وجه هذه السيدة غير غريب عنى ،
وأننى لابد قد رأيتها من قبل أكثر من مرة ، ولما صحت
من النوم ، ظل وجه هذه الحسناء ماثلا أمامى بوضوح ..
ولكن ذاكرتى لم تسعفنى بالتعرف على شخصيتها ،
فبُست من ذلك ، وأغمضت عيني مرة أخرى .. ولم
ألبث أن استغرقت فى النوم ، وإذا بى أرى الحلم السابق ،
وإذا بى أنتهز الفرصة وأسأل تلك السيدة وأنا فى الحلم
أين عساي رأيتها من قبل ؟ .. فدهشت وقالت لى : هل
نسيت حقا شاطئ البحر فى موضع كذا .. وعندئذ

صحوت من نومي ، واستطعت في هذه المرة أن أستعيد
في ذاكرتي كل ما يتعلق بظروف تعرفني الى هذه السيدة
الحسنة ..

وبديهي أن فترة الطفولة هي أهم مورد تستمد منه
الاحلام التفاصيل المهجورة والمنسية ، بحيث أن الشخص
يعجز في كثير من الاوقات عن تذكر خبراته السابقة ،
ويظن أن الحلم أتاه بمعجزة ليس له بها سابق عهد ..
ولعل من المناسب أن أذكر في هذا الصدد حلما لي
شخصيا ، فقد رأيت فيما يرى النائم رجلا أدركت أثناء
الحلم أنه طبيب مسقط رأسي ، ولكن ملامحه في الحلم
لم تكن واضحة ، بل كانت متداخلة في ملامح مدرس كان
يعلمني وأنا في المدرسة الثانوية .. وما زلت ألقى به الى
اليوم ، فلما قمت من النوم أدهشني أن تتداخل ملامح
هذين الرجلين ، وذهبت أسأل أمي عن شكل ذلك الطبيب
الذي كان يعالجنى في طفولتي الاولى ، وكانت قد انقضت
عند حدوث ذلك الحلم ثمانية وثلاثون عاما منذ آخر مرة
رأيت فيها ذلك الطبيب ، وأعتقد أنه لم يخطر على بالي
مرة واحدة خلال تلك الاعوام التي تقارب الأربعين ،
فقلت لى أمي : أن ذلك الطبيب كان أعور ، وأدركت على
الفور سر تداخل ملامحه في ملامح ذلك المدرس ، لان
المدرس أيضا كان أعور !

ويلاحظ الدارسون أيضا أن المادة التي ينتقيها الحلم
ليست عادة هي أهم الذكريات وأخطرها شأنًا من وجهة
نظرنا في حال اليقظة ، بل هي في الغالب أتفه التفاصيل
وأكثرها خفاء وغموضا ..

وفي هذا الصدد يقول « هيلد برانت » :
- ومن الملاحظ الذي يسترعى الدهشة أن الحلم

لا تتخير عناصره من أكثر الاحداث جلاء واثارة ، بل من
نفاية التفاصيل التي أهملتها سجلات الذاكرة اذ غبر
عليها الزمن .. ولذا نشاهد انه قد يعصر الحزن قلوبنا
لمصاب عائلتي فادح ينفي عن أجفاننا النعاس موهنا من
الليل .. حتى اذا أخذ الكرى أخيرا بمعاقد الاجفان ،
اذا بنا لا نرى في الحلم شيئا يتصل عن قرب أو بعد
بذلك المصاب الجلل كأنما ضاق عنه من رقعة الحلم ما
يتسع لندبة مضحكة في وجه انسان غريب وأيناه عرضا
بين عابري السبيل ، ولم يشغل من اهتمامنا الا أقل
القاليل !



وقد احتدم الخلاف بين المؤلفين حول مصادر الاحلام،
ولكننا نستطيع ان نلخص آراء العلماء الى أربعة من تلك
المصادر هي :

- ١ - اثارات حسية تأتي من خارج الجسم
- ٢ - اثارات حسية تأتي من الجسم ذاته
- ٣ - اثارات عضوية باطنية
- ٤ - اثارات نفسية خالصة

وكلنا نعرف بالتأكيد النوع الاول من هذه الاثارات
التي تحدث لنا ونحن نيام ، فقد يسقط ضوء ساطع فوق
وجوهنا ، أو تصل ضوضاء الطريق أو الجيران الى آذاننا ،
أو تثير رائحة نفاذة أغشية أنوفنا ، أو ينكشف الفطاء
عن جزء من أجسامنا ، أو يلتوى لنا ذراع تحت جنوبنا ،
أو تلدغنا إحدى الهوام ، وفي هذا الصدد كتب «يسن» :
- كل صوت لا تميزه أذن المرء تماما ، وهو نائم ،
لابد أن يثير صورا تتسق معه في الحلم .. فمن يسمع
هدير الرعد وهو نائم حري أن يحلم بساحة القتال ، ومن
يسمع صياح الديك يخاله أصوات استغاثة ، أما اذا

تكشف جزء حساس من الجسم أثناء الليل وأصابته
قشعريرة البرد ، فما أحرى النائم أن يحلم حينئذ أنه
يمشي في الشارع عاريا أو يسقط في بركة من الماء البارد،
ومن يدخل رأسه تحت الوسادة وهو يتقلب جدير أن
يحلم بصخرة عظيمة تتأرجح .. وهكذا

ويروى « ماير » انه رأى في الحلم ذات ليلة عصابة من
الرجال يهاجمونه ويلقون به على الأرض ثم يدقون
مسمارا كبيرا بين اصبعي قدمه ، وفجأة استيقظ من
نومه ، فاذا به يجد عودا من القش قد دخل بين هذين
الاصبعين عفوا !

ولا حاجة بنا الى الاستطراد في ذكر التجارب الطريفة
الكثيرة التي أجريت في هذا الموضوع ..
وكلنا نعرف كذلك أنواع الأحلام التي مصدرها
احساسات في داخل الجسم مثل الجوع والعطش والرغبة
في التبول ..

وقد آن لنا الآن أن نعرف لماذا يأتي النسيان على
معظم الأحلام بعد اليقظة ، فما أكثر ما نشعر أننا حلمنا
ولا نتذكر بماذا حلمنا .. وحتى ما نتذكره غالبا ما يكون
ناقصا مشتتا بحيث نشعر أن ما احتفظت به ذاكرتنا
من الحلم جزء ضئيل مما أتى عليه النسيان ..

ومع هذا فهناك أحلام تثبت في الذاكرة بشكل غريب ،
وأستطيع على ضوء تجربتي الخاصة أن أقول اننى حللت
أحلاما لمرضى تراءت لهم في منامهم قبل ربع قرن أو
أكثر .. بل وأستطيع أنا شخصا أن أذكر حلما معيناً
لى رأيتُه منذ نحو أربعين سنة ، ومع ذلك لم يزل حيا
نابضا في ذاكرتى .. وهو تناقض غريب ليس من السهل
على الذهن أن يجد له تعليلا مقبولا الا بعد اعمال الراى

ويقرر الباحثون أن تذكر الأحلام تكتنفه صعاب كثيرة ،
لأننا نميل في حال اليقظة الى ملء الفراغات الموجودة في
الحلم بأحداث أو أقوال متخيلة ونحن لا ندري .. لأن
العقل الانساني يميل الى الربط بين الاحداث المتفرقة
برباط منطقي ، وهذا من شأنه أن يزيد في صعوبة اعتمادنا
على الأحلام باعتبارها واقعا نفسيا يفيد في التحليل
والعلاج ..

ومهما يكن من شيء ، فان للحلم خصائصه السيكولوجية
التي تختلف عن خصائص التفكير العقلي .. فالتفكير
العقلي يتوالى في تصورات أو معان مجردة وهو في حال
اليقظة ، أما في حال الحلم ، فان الفكرة تتشكل في صورة
متحركة ناطقة وكأنها تتسلل متحررة من سلطان العقل
المنطقي لتعيش متحررة بعيدا عن رقابة الإرادة الواعية ،
ولذا لا نعتقد ونحن نحلم أننا نفكر .. بل نعتقد أننا
نعيش فعلا ، ولذلك يركبنا الذعر من المخاوف في الحلم ،
ويستطيرنا الفرح للاحداث السارة ، ولا نعرف أننا لم
نكن نعيش حقا تلك التجارب الا بعد أن نستيقظ ، ونجد
أن ما مر بنا في الحلم لا يتسق مع الواقع الذي يحيط بنا
في حال اليقظة ، وعلى هذا الاساس ربما جاز لنا أن نعلل
الفارق بين الحلم واليقظة بأن النشاط النفسي أثناء
النوم ناقص متحلل من سلطان الإرادة ورقابة العقل
المنطقي ، ولذا يأتي الحلم مفككا حافلا بالمتناقضات
لا يعرف معنى للمستحيل .. وهكذا يجعلنا الحلم نصدق
ما لا يمكن تصديقه ، ونأتى من الافعال ما لا نستطيع
الاقدام عليه ونحن في اليقظة .. فكأننا بلهاء سفهاء ،
ويؤكد بعض الباحثين أن أكثر من ٩٠ ٪ من الأحلام
خالية من المعنى المعقود أو الترابط المنطقي .. ولكن
ينبغي ألا نفعل رأى رجل مثل « دافيدسون » استطاع

أن يدرك - بلمحة عقلية - الخاصة المميزة للأحلام :
- أن أحلامنا تحتوى على قفزات وطفرات لا نعرف
لها تعليلا .. ولكن هذه الطفرات لا تحدث بلا سبب ،
بل نجد لها تفسيراً في قانون تداعى المعانى أو الخواطر ..
فإن كل فكرة في الحلم تثير الأفكار الأخرى المقترنة بها في
الذاكرة مثل التشابه في الاسم أو في صفة من الصفات ،
ولكن عقلنا المنطقي لا يدرك هذا الاقتران فيظنه هذيانا
ومن الملاحظ أيضاً أن الإنسان في الحلم قد يقدم على
أعمال في منتهى السمو لا يأتينا عادة - وهو في حال
اليقظة - فكأنه شخص مثالى ، وقد يحدث في أحلام
أخرى أن يكون نفس الشخص في منتهى الانحطاط
والمجون .. وفي الحلم يمكن أن يقال أن كل شيء جائز !



والآن نحب أن نتساءل عن مدى خضوع الأحلام للقيم
الخلقية .. وأول ما يحضرنا هو قول « يسن » :
- لا وجود في الحلم لشيء اسمه الضمير .. فالقاتل
قد يقدم في الحلم على السرقة أو القتل أو الاغتصاب وهو
لا يبالي أو يستشعر ندماً
ويقول « فولكت » :

- لا تعرف الفرائز الجنسية في الحلم أى نوع من
الكبح .. فلا حياء ، ولا رادع ، ولا منطق .. بل إن
الأشخاص الآخرين أيضاً الذين يراهم في الحلم كثيراً
ما يكونون في صورة أخلاقية مريضة ..

ولكن « شوينهاور » يرى غير ذلك الرأى فهو يؤكد
أن كل إنسان يتخذ لنفسه في أحلامه من السلوك ما يوافق
طبعه ، فالعفيف عفيف ، والطائش طائش ، والحسود

حسود ، وهكذا .. وكل ما هناك أن النوم يخلع عنا
قناع التصنع والرياء ، فتبدو حقيقتنا الباطنة على ما
هى عليه .. فيصارع كل منا نفسه بما لا يجسر على
التصريح به وهو في حال اليقظة



السبيل الى التأويل

ان هدفى من هذا الكتاب أن أقيم الدليل على أن الأحلام ليست خالية من المعنى ، وأنه يمكن الوصول الى تأويل لها .. وان كان هذا يناقض معظم الآراء العلمية وشبه العلمية .. فما من أحد كان يرى فى الأحلام شيئاً منطقياً معقولاً من معدن العقولات البشرية الموهودة لنا ، وان كانوا مع هذا يرونها ذات مغزى غير طبيعى .. فمنهم من يربط بين هذا المغزى وبين عالم الغيب أو دنيا الآلهة وعلامات القدر والنذير ، أما أنا فأرى الأحلام مجرد علامات تدل على عمليات نفسية وفعلية ، وما علينا الا أن نعر على مفتاح « شفرة » هذه العلامات حتى نصل الى المعنى الحقيقى والطبيعى للأحلام والناس ، من قديم ، يجتهدون فى تفسير الأحلام على حسب اعتقادهم فى دلالاتها الخارقة ، فكانت مناهجهم غير علمية .. فمنهم من يفسر الحلم كأن حوادثه رموز ، وهذا منهج لا يجدى الا فى الأحلام ذات الترتيب والتناسق الى حد ما .. أما الأحلام الغامضة والمفرطة فى شطحياتها ، فلا سبيل الى علاجها بالمنهج الرمزى .. ولعل افضل مثال للمنهج الرمزى هو تفسير سيدنا يوسف لحلم فرعون مصر كما ورد فى التوراة : انه رأى سبع بقرات سمان ترعى على شاطئ النيل ، ثم خرجت عليهن فى جوف النيل سبع بقرات عجاف اكلن البقرات

السمان ، وعجز المفسرون والكهان عن تأويل تلك الرؤيا ، بيد أن يوسف الصديق تمكن من حل رموزها ، وقال لفرعون أن حلمه يؤذن مصر بسبع سنوات من الخير الوفير في الغلات والثمار ، ثم تعقبها سبع سنوات من القحط تأكل الأخضر واليابس ، وأن عليه أن يدخر في سنوات الوفرة ما يسد الحاجة في سنوات الجوع

ومعظم الاحلام التي ترد في الروايات ، من تأليف الادباء ، إنما هي من نوع هذا الحلم الرمزي ذي المدلول المعقول . . لان الاعتقاد الراسخ في الازهان ان للاحلام دلالة غيبية ، وانها نذير سوء أو بشير خير . .

وليس لهذا التأويل الرمزي لمضمون الحلم أو الرؤيا أى منهج علمي ثابت ، وانما المعول فيه على الفطنة والذكاء والفراسة . .

وهناك منهج للتفسير يؤمن به كثيرون من العامة ، وهو منهج ثابت يكاد يكون له قاموس متوارث في كل بلد على حدة . . فالخطابات معناها نذير نحس ، والمآثم معناها خطبة أو زواج ، وهكذا . . وعنى بعض المؤلفين القدامى بهذا النوع من التفسير ، ووضعوا قواعد تقريبية كثيرة له . .

وانا لا أعارض في أن للحلم مغزاه ، سواء كان متماسكا أو مفككا ، وهذا المغزى هو ما توصلت اليه بمنهجى الجديد بعد أن انصرفت سنوات طويلة الى فحص حالات المرضى النفسيين والعصبيين . . فقد كان هؤلاء المرضى يقصون على اخلامهم فيما يقصون على من خواطرهم ومخاوفهم أثناء جلسات العلاج . . فكانت تلك الاحلام من بين ما استعنت به على الوصول الى أسباب اختلال توازنهم النفسى

وقد لاحظت ، أثناء ذلك، أن المريض وهو يسرد ذكرياته

بلا روية أو ربط يكون في حالة نفسية مختلفة عن حالته وهو يراقب أفعاله وخواطره وينسق بينها .. فهذا التنسيق معناه الانتقاء ، بحيث يحذف بعض الخواطر فلا يروىها ، ويحور بعضها الآخر ، ويروى البعض الثالث على علته إذا كان راضيا عنه ..

ولعل خير حالة للسرد بلا انتقاء ، هي حالة الاستعداد للنوم ، أو حالة التنويم المغناطيسى إذا أمكن ذلك .. لأنه قبل النوم مباشرة تنثال الأفكار في غير حذر ، وهذه الخواطر التى تسبق الاستغراق فى النوم هى التى تكتسى اللحم والدم ، وتتحول الى صور متحركة ناطقة أثناء النوم .. وهذا ما يسمى بالحلم

وليس جميع الناس سواء فى سهولة هذا « الانثيال » للخواطر الحرة .. فمنهم من تتوفر له رقابة أقوى من المعتاد ، فتظل قائمة بوظيفة المنع والكف والمصادرة والتحويل أثناء النوم ، للحيلولة بين بعض هذه الخواطر والظهور فى عالم الوعى ، ولو أثناء الرقاد ..

ووجود هذه « الرقابة » هو الذى يمنعنا من اتخاذ الحلم فى جملته موضوعا جديرا بالثقة والتأويل ، بل نكتفى بأخذ مفرداته وعناصره جزءا جزءا ، ونحاول أن نصل الى مغزى كل جزء على حدة ..

ولا يقل عدد الاحلام التى حللتها وفسرتها لمرضى أثناء العلاج وقبل تأليف هذا الكتاب عن الالف حلم .. ولكنى لا أميل الى استخدامها فى هذه المرحلة التمهيديّة من البحث ، لانى أعلم أن البعض سيسخرون منها ويرفضونها من حيث الشكل قائلين أنها مجرد تخريف مرضى بأعصابهم .. والمريض لا يصلح حجة على السليم ، والشاذ ليس مقياسا للطبيعى ..

وما دام الامر كذلك ، فليس امامى فرصة للاختيار ..

انى لا أملك اذن الا أحلامى الخاصة التى تتراءى لى مثل
سائر الناس فى الاحوال العادية ، رغم ما فى هذا «التحليل
الذاتى» من صعوبات لا أتكرها ، وليس أقلّ هذه
الصعوبات شأنًا انى سأضطر للكشف عن جوانب من
أسرار حياتى الشخصية ، ولكنى لا أجد مناصًا من
ذلك ، وان كنت سأحاول الا أكشف عن أمورى الخاصة
الا القسط الذى لا بد منه للمضى فى التفسير وبيان مراحل
منهجى فى التأويل ..

ولى فى غيرى من العلماء أسوة حسنة ، وقد عبر
«دلبوف» عن هذا المعنى أحسن تعبير حين قال :
- يجب على رجل العلم أن يكشف عن أوجه النقص
فى نفسه بلا تردد ، اذا ما وجد فى ذلك فائدة عامة توضح
بعض المشكلات العلمية

وأنا واثق أن القارئ سيتترك الفضول بالنسبة
لخصائص حياتى ويوجه اهتمامه كله الى المادة العلمية
التي توضحها له تلك الأحلام

ولذا أرجو القارئ وأنا على وشك أن أبدا برواية حلم
نموذجى من أحلامى أن يعيرنى اهتمامه ، ويشغل نفسه
بأمري ، حتى يتمكن من الفوص معنى فى دقائق المفزى
الكامن للحلم وعناصره ..
والآن .. الى ذلك الحلم ..

حلم يولية ١٨٩٥

في خلال صيف عام ١٨٩٥ كنت مهتما بعلاج سيدة شابة من صديقات أسرتي ، وكان العلاج بالتحليل النفسي الذي تابرت منذ حين على مزاولته ، ووصلت بالعلاج الى مرحلة تعتبر نجاحا لا بأس به في حالتها .. ذلك انها شفيت من الاضطراب الهستيري ، ولكن الاعراض الجسدية لذلك الاضطراب لم تزل تماما ، واقترحت عليها خطة لم تحز قبولها ، فقررنا ارجاء العلاج الى ما بعد اجازة المصيف ، وسافرت المريضة - واسمها « ارما » - الى المصيف مع أسرتها ..

وبعد فترة من الزمن جاء لزيارتي زميل شاب تربطني به صداقة وثيقة ، وكان قد قضى بضعة أيام في المصيف ضيفا على أسرة « ارما » ، فسألته عن حالتها .. فأجابني جوابا امتعضت منه بعض الشيء :

- انها بخير .. ولكن ليس كل الخير طبعاً ..

فقد خيل الى أن وراء لهجة هذا الرد تقريبا خفيا أو اتهاما بالتقصير ..

وسهرت تلك الليلة في اعداد تقرير عن حالتها ومراحل مرضها وعلاجها ، اعتزمت أن أقدمه للدكتور « م » الذي نحترمه جميعا وتكبره ، وهو صديق أسرتي وأسرة ارما الموقر ، حتى أنفى عن نفسي كل شائبة تقصير .. وفي نهاية هذه الليلة - قبيل الصباح - رأيت ذلك

الحلم ، وبادرت فور استيقاظي بتدوينه تدوينا مفصلا
دقيقا ..

واليكم ما دونته :

— كنت في بهو كبير نستقبل فيه كثيرين من الضيوف،
ومن بين هؤلاء الضيوف « ارما » وأسرع فانتحى بها
ركنا . كائن أريد أن أرد على رسالة سابقة منها وأوبخها
لأنها لم تقبل اقتراحى ، وأقول لها : أنت المسئولة وحدك
عن آلامك الحالية ، فترد قائلة : ليتك تدري مبلغ الآلام
التي أشعر بها الآن في حلقى ومعدتى وأحشائي .. انها
آلام خائقة .. فأرتاع لما قالت ، وأتأملها فأجدها شاحبة
متورمة . فأقول لنفسى : لابد آتى لم أفطن الى عنصر من
عناصر المرض . عنصر عضوى .. وأذهب بها ناحية
النافذة لأرى حلقها . فتتمنع قليلا كما تفعل النساء ذوات
الاسنان الصناعية . وأحدث نفسى ان هذه ليست
حالتها ، وتفتح فمها على سعته ، فأرى بداخله قرحة
بيضاء على اليمين ، وفي مكان آخر أبصر قشورا كبيرة
مائلة الى البياض فوق تجاعيد غريبة الشكل تشبه كثيرا
التجاويف الأنفية ، فأنادى الدكتور « م » فى الحال .
فيفحصها بنفسه ويؤيد تشخيصى ، والدكتور « م »
ليس كهمدى به ، بل يبدو حائل اللون يظلم فى مشيته
وبلالحية . وبها هو ذا الدكتور «أوتو» يظهر بجانب «ارما»
ويقبل الدكتور ليوبولد أن يفحصها . فيدق صدرها من
فوق الثياب ويقول : هناك منطقة صماء فى الناحية
اليسرى ، ورشح من الجلد فى تلك الناحية أيضا لاحظته
أنا رغم أنها لم تخلع ثيابها ، ويقول الدكتور «م» : هذه
إصابة نتيجة عدوى .. ولكن لا بأس ، فسرعان ما
يزول التسمم وتلاشى الدوسنطاريا . ونحن نعلم منشأ
العدوى : ان صديقى أوتو أعطاها حقنة منذ مدة من

حامض البروبيونيك .. ومن مركب آخر رأيت معادلته
الكيمائية مرتسمة أمامي بحروف كبيرة ، وهذا النوع
من الحقن لا يعطيه الانسان الا للضرورة القصوى ، ثم
ان المحقن لم يكن نظيفا كما يجب ..

وواضح ان هناك ارتباطا كبيرا بين هذا الحلم وبين
ما حدث في اليوم السابق .. فالزميل الذي زارني
وامتعضت من عبارته هو الدكتور أوتو ، ثم اننى قبل
النوم كنت مشغولا بكتابة تقرير عن ارما ، ولكن هذا
لا يكفى لادراك مغزى الحلم .. فمرض « ارما » فى الحلم
يختلف تماما عن المرض الذى كنت اعالجها منه ، وموضوع
المحقن غير النظيف والحامض وتعليقات الدكتور «م» كلها
أمور فارغة تثير الابتسام ، ولا تدل على شىء جدى لاول
وهلة .. فنهاية الحلم أشد غموضا من بدايته !

هذا كله جعلنى أصمم على « تحليل » ذلك الحلم تحليلا
دقيقا مهما كلفنى الامر من مشقة .. سأبدأ التحليل
جزءا جزءا ..

التحليل

« البهو .. والضيوف الكثيرون الذين تقوم باستقبالهم »

اننا كنا قد اتخذنا مصيفنا فى منزل فوق ربوة عالية
بالقرب من فيينا ، وكانت حجراته أشبه بالابهاء والقاعات
التاريخية ، وفى تلك الدار رأيت هذا الحلم .. وفى الليلة
التى تسبق عيد ميلاد زوجتى ببضعة أيام ، وكانت
زوجتى فى اليوم السابق قد أخبرتنى أن ضيوفا سيأتون
للزيارة لتلك المناسبة ، ومن بين هؤلاء الضيوف الصديقة
« ارما » .. فكأن الحلم قد اتخذ مسرعا له يوم عيد ميلاد
زوجتى حيث تقوم باستقبال عدد كبير من الضيوف فى
بهو المنزل ومن بينهم « ارما » ..

**« توبيخ ارما لانها رفضت اقتراحى وتحميلها وحدها
وزر آلامها الراهنة »**

وهو كلام كان من الممكن أن أقوله « لارما » فعلا ، لان
اعتقادى فى ذلك الحين أن مهمة الطبيب النفسى تقتصر
على بيان سبب المرض للمريض ، وعلى المريض بعد ذلك
أن يصلح هذا العطب فى نفسه بانتباهه ، وقد عدلت فيما
بعد عن هذا الرأى ، اذ ثبت لى خطؤه ، وكانت ارما
ترفضه وترى أن أستمر فى العلاج .. فمعنى هذا الجزء
من الحلم انى اتبرا من تبعة ما لم يزل من أوجاعها
**« ارما تشكو من آلام فى الحلق والبطن والاحشاء تكاد
تخنقها »**

وكانت « ارما » تعاني فعلا من بعض آلام خفيفة فى
المعدة ، أهم أعراضها الغثيان ، وأما أوجاع الحسلق
والاحشاء والاختناق ، فلم تكن من خصائص مرضها ،
ولست أدرى لماذا اختار لها الحلم هذه الآلام بالذات !
« رايته حائلة اللون متورمة »

وهذا عكس حال ارما .. فهى دائما متوردة البشرة
**« ينتابنى الذعر وأخشى أن أكون قد أغفلت عنصرا
من عناصر المرض » ..**

وهذا الذعر مألوف لدى الاطباء المتخصصين فى
الامراض العصبية ، فهناك أعراض جسمية يرجعونها الى
العلة النفسية ، ويرى الاطباء العاديون أن سببها مرض
عضوى بحت ، ولكن هذا الخاطر فى الحلم قد يكون
مصدره الرغبة فى تبرئة نفسى أيضا ، فما دامت آلامها
عضوية ، فلست مسئولا عن علاجها فى هذه المرحلة ..
لانى مسئول فقط عن الحالة العصبية ، وهكذا لا يكون
هناك وجه للومى على القشل ..

« بجوار النافذة أحاول أن أفحص حلقها فتمانع ، كأن أسنانها صناعية .. فأحدث نفسى أن هذه ليست حالها »

وليس فى حالة « ارما » ما كان يدعو الى فحص حلقها .. ولكن هذا الجزء من الحلم يذكرنى بحالة أخرى لسيدة جميلة شابة حضرت من قبل للعلاج ودعا الامر الى فحص فمها ، فلما طلبت اليها ذلك مانعت قليلا . وعلمت أن أسنانها صناعية وتريد أن تخفى عنى تلك الحقيقة . وأما قولى أن هذه ليست حالها فمرجعه ليس الى « ارما » بل الى صديقة لها أحترمها كثيرا .. ذرتها وكانت واقفة فى وضع مماثل لوضع « ارما » فى الحلم . وكان طبيبها هو الدكتور « م » فعلا . ومنه علمت أنها مصابة بأعراض مرض حلقى ، وتلاحظ أن الدكتور « م » ظهر فى هذا الحلم . وأن مرض الحلق ظهر أيضا . وأتذكر الآن أن هذه السيدة - كما علمت من صديقتها « ارما » - تعاني من اختناق عصبى ، وهى الحالة التى شكت منها « ارما » فى الحلم . وهكذا أدرك أن « ارما » حلت فى الحلم محل صديقتها تلك ، وأتذكر أيضا أننى فى الاسابيع الأخيرة السابقة على الحلم ، كنت أتذكر هذه السيدة ويخطر لى أنها ربما طلبت منى أن أعالجها ، ثم أستبعد هذا الخاطر لما عرفت به تلك السيدة من انطواء وحذر .. ومعنى هذا أنها ستمانع فى العلاج ، وهذا ما يفسر عنصر الممانعة الذى ظهر فى الحلم ، ومعنى ذلك أن « ارما » مثلت فى الحلم صديقتها تلك .. فما السبب فى ذلك ؟ قد يكون السبب أنى أضمر رغبة فى أن تحل تلك السيدة محل « ارما » فى العلاج لما أكنه لها من التقدير .. فأكبر الظن أنها ما كانت لترفض اقتراحى كما رفضته « ارما » التى أشعر بالسخط عليها لذلك السبب . ومن أنواع الممانعة أيضا التى يرمز اليها عدم فتح الفم على سعته أننى أتهم

« ارما » بأنها لا تعترف لى بخواطرها كلها كما ينبغى ..
« وأرى فى الخلق قرحة بيضاء عن يمين .. وعن يسار
أرى تجاعيد أشبه بالاعشبة الانفية تنتشر فوقها قشور»
أما البقعة البيضاء فمن علامات الدفترى ، وهذا
يذكرنى بمرض أصاب ابنتى قبل الحلم بعامين ، فسبب
لى قلقا فظيما ، وأما القشور المنتشرة فوق الاعشبة
الانفية عن يسار الخلق ، فتشير الى قلقى بسبب افراطى
يومئذ فى تعاطى الكوكايين ، وكان قد بلغنى منذ أيام أن
أحدى المريضات تعاطت الكوكايين مقتدية بى ، فأصيبت
بالتهاب وقروح فى غشائها الاتقى ، وكنت أنا أول من
أشار باستخدام الكوكايين للعلاج قبل الحلم بعشرة
أعوام ، فأثار ذلك سخط الكثيرين وهاجمونى فى الصحف
الطبية ..

« وحضر الدكتور — م — وأعاد الفحص فايد
تشخيصى » ..

وهذا يبدو طبيعيا لان الدكتور « م » هو الحجة الذى
نحتكم الى رأيه عند كل شك ..

« والدكتور « م » ليس كالمهد به ، فهو شاحب وبلا
لحية ، ويظلع فى مشيته »

وتغير اللون من صفات الدكتور « م » .. ولكنه ملتج
ولا يظلع فى مشيته ، ويذكرنى هذا بأن أخى الاكبر الذى
يعيش حاليا خارج القطر بلا لحية ، وقد سمعت قبل
الحلم ببضعة أيام ، أنه أصيب بالتهاب فى فخذة الايسر
جعله يظلع ، ولا أعرف لماذا أدمج الحلم الدكتور « م »
وأخى ، ولعل السبب هو جامع الاكبار لكليهما بحكم
المكانة فى بيئتنا العائلية ..

« الدكتور اوتو يظهر بجانب « ارما » .. ويفحصها

**الدكتور ليوبولد ويقرر وجود منطقة صماء في الجانب
اليسرى**

والصديقان ليوبولد وأوتو قريبان .. ولكنهما دائما
على طرفي نقيض ، وما أكثر ما يختلفان في التشخيص ،
وينافس كل منهما الآخر في تخصصه ، وفي إحدى الحالات
أثار ليوبولد إعجابي بدقته حين كشف عن منطقة صماء
فعلا في تلك الحالة ..

« رشح على الجلد في الناحية اليسرى » ..

هذا الجزء من الحلم يشير الى ما أعانيه أنا فعلا من آلام
الروماتيزم في الكتف اليسرى ، وقد نفصني حين سهرت
تلك الليلة لكتابة التقرير ..

**«الدكتور (م) يقرر أنها عيوى .. ولكنه يستهين
بالمسألة ويقرر أن الدوسنطاريا سيقضى عليها ويتسلاشى
التسمم» ..**

وهذا كلام يبدو سخيفا .. فأعراض الدفتريا لا يمكن
أن تكون لها علاقة بالدوسنطاريا أو التسمم ، ولكني
الاحظ أن المراد بهذا الجزء دفع اللوم عنى بصورة مبالغ
فيها ، لأن حالات الدوسنطاريا أو التسمم حالات عضوية
ليس من اختصاصي علاجها .. فلا يمكن أن الام اذا كانت
« ارما » تشكو منها ، ولكن لماذا يسند الحلم هذا
التشخيص السخيف لصديق هو طبيب فاضل ؟ لعل
السبب ان الدكتور « م » لا يوافق على اقتراحاتي في
العلاج ، فهو اذن يقف في صف « ارما » ، فجاء الحلم
وانتقم لى من الاثنين .. من « ارما » بالآلام التى تعانيها
في الحلم ، ومن الدكتور « م » بأن أسند اليه تشخيصا
كالهراء !

وما جاء بعد ذلك من أجزاء الحلم : هو تعبير عن « م »
موجه الى الزميلين : واتهام لهما بالاهمال الفاحش .

والفرض من هذا بداهة هو دفع الملام عن نفسي .. فاذا كان الخطأ خطأ الآخرين ، فأنا لا يمكن أن أكون مسئولا عن سوء الحال !

وهكذا نرى أن الحلم - في ضوء هذا التفسير - قام بتحقيق مجموعة لا بأس بها من الرغبات التي خامرتني في اليوم السابق .. فجاء الحلم ليبرئني من ذنب آلام « ارما » ، ويلقي الذنب على أوتو نفسه الذي شعرت من لهجته أنه يلومني على التقصير في علاجها .. واشتط في انتقامي من أوتو ، فأجعله يبدو أقل كفاءة في الحلم من منافسه ليوبولد ، وانتقم أيضا من مريضتي الساخطة ، إذ أعطى شخصيتها ومكانها لسيدة أخرى أجسدر باحترامي .. ولا أعفى من الانتقام حتى الدكتور « م » الموقر

وفي اعتقادي أن هذا النموذج يبين خطوات المنهج الذي أنصح باتباعه في تفسير الأحلام .. فعلى هذا المنوال يتبين لنا أن الحلم - على تفككه وتضاربه - ليس خلوا من المعنى ، وأنه بعد تأويله تأويلا صحيحا تتضح له صورة متكاملة ومغزى متماسك ، وهذا المغزى يرمى دائما الى تحقيق رغبة تخامر الشخص الذي رأى الحلم



الفصل الثاني

تحقيق الرغبة • لماذا تأسوه الله بهم ؟



تحقيق الرغبة

إذا كانت القضية التي وصلنا إليها هي أن الغرض من الحلم عموماً هو تحقيق الرغبة التي تساور الحالم ، فلماذا يتخذ الحلم تلك الصور المتناقضة ؟ .. وهل نستطيع أن نعرف أن كانت هذه الطريقة الملتوية هي المتبعة في سائر الأحلام ؟ أم هي طريقة خاصة بهذا الحلم بالذات !

أن هذا الحلم المعين قد دلنا تحليله على أن الغرض منه هو تحقيق الرغبة التي كانت تساورني ، ولكن ربما تكشف حلم آخر عن غرض ليس بتحقيق رغبة ، بل تجسيم مخاوف ، أو استرجاع ذكرى قديمة ..

فيجب أن نبحث الآن عن صفة تحقيق الرغبة ، وهل تنطبق على جميع الأحلام أم لا !

هناك أحلام كثيرة يكون واضحاً منها لأول وهلة أنها تحقق رغبة للحالم ، وهذا النوع من الأحلام متداول يراه كل منا ، وأذكر الآن - على سبيل المثال - أن من يأكل في وجبة العشاء أطعمة على درجة عالية من الملوحة ، يشعر أثناء النوم بالعطش ، ويحلم عندئذ بأنه يشرب كميات كبيرة من الماء الذي يبدو طعمه عذبا مرطباً للحلق ، ومع ذلك يستمر الظمأ ويمتنع الارتواء ، فتحدث اليقظة ويجد الشخص نفسه في حاجة شديدة إلى الشرب ..

وواضح أن الشرب في الحلم كان الغرض منه تحقيق رغبة شديدة للحالم ، لا يمكنه تنفيذها إلا إذا استيقظ .

وهو لا يريد بقدر الامكان أن يستيقظ ، ويحاول الحلم بكل قوته أن يقوم بتحقيق الرغبة ، ولكن محاولته لا تنتج آثارها .. فلا يكون بد من اليقظة وهكذا نرى أن النفس البشرية تتخذ لها شعارا ، هو قانون « أقل مجهود » ومعنى هذا أن تحاول الطاقة النفسية الوصول الى هدفها بأسهل الوسائل وأقرب الطرق ..

وبديهي أن جميع الرغبات ليست سواء في صعوبتها .. فالرغبة في إرواء الظمأ لا يكفي الحلم لتحقيقها فعلا ، أما الرغبة في الثأر من « أوتو » و « أرما » والدكتور « م » فيكفي الحلم لتحقيقها تمام الكفاية .. !
والأحظ أن الأحلام التي تحقق الرغبات الكامنة بسهولة كانت تتراءى في منامى بكثرة في فترة الشباب ، لأنى في ذلك الحين كنت أسهر في البحث والدرس الى موهن من الليل ، وكان على أن أستيقظ مبكرا لآذهب الى المستشفى ، وكان هذا بطبيعة الحال أمرا شاقا ، ولذا كنت أحلم في معظم الليالى أنى قمت من نومى ، ووقفت أمام المغسل ، ورحت أرجل شعرى بعد غسل وجهى .. فكان هذا الحلم يحقق رغبة اليقظة صوريا ، ويتيح لى فترة اضافية من النوم اللذيذ .. !

ويحضرنى بهذه المناسبة حلم كان يتراءى لاحد زملائى الشبان ، وكان يقيم فى حجرة مفروشة قرب المستشفى ويكلف ربة البيت بإيقاظه فى ساعة معينة من الصباح الباكر ، ويشدد عليها فى ذلك لعلمه بثقل نومه ..
وذات مرة كانت رغبته فى النوم شديدة .. فلما نادته السيدة :

— قم كى تذهب الى المستشفى ..
لم يستيقظ بل رأى نفسه فى الحلم راقدا فى فراش

بالمستشفى ، وقد علقت على الفراش لوحة تحمل اسمه
وتشخيص حالته المرضية .. فقال لنفسه وهو يحلم :
- لا ضرورة للذهاب الى المستشفى اليوم ما دمت
فيه فعلا !

واستأنف النوم ، لانه أقر اقرارا صريحا بغرضه من
هذا الحلم ، وهو ايجاد ذريعة لعدم الاستيقاظ في تلك
الساعة ..



واليكم حلما آخر .. فقد أمر الطبيب مريضة عقب
اجراء عملية جراحية في الفك أن تضع كيس الثلج على
خدها ليلا ونهارا .. ولكنها ما أن تنام حتى تلقى به
بعيدا وهي نائمة ، وعللت ذلك بأنها حطمت بأنها في دار
الأوبرا ، فقالت لنفسها « ما دمت في دار الأوبرا فأنا
بخير ولا حاجة بنى الى كيس الثلج » .. وألقته بعيدا !
وواضح أن الغرض من هذا الحلم هو تحقيق أكثر من
رغبة للمريضة .. فهي أولا شفيت ، وثانيا ذهبت الى
الأوبرا وكانت محرومة من الخروج منذ مدة طويلة ،
وثالثا وجدت مبررا للتخلص من كيس الثلج



وأسوق قصة حلم آخر :
كانت إحدى السيدات تلازم ابنها المريض أسابيع
متوالية ، وهو طريح الفراش بحمى معدية .. فلما زالت
مرحلة الخطر رأت في منامها صالونا أديبا ومعهما فيه
مشاهير الكتاب الذين تحبهم ، فتبسطوا معها في
الحديث وسامروها ورفهوا عنها ، وكانت أشكالهم في الحلم
تمثل صورهم الشمسية ، فيما عدا « بريفو » الذي
لم تكن السيدة تعرف صورته .. فظهر لها في الحلم وله

وجه البخار الذى جاء فى اليوم السابق لتطهير حجرة
ابنها المريض ..
ومن السهل أن نعرف الرغبة التى يعبر هذا الحلم عن
تحقيقها ، وهى التخلص من هذا الحبس والسمهر
والتمريض المضمن الى أنواع أخرى من المتع الروحية
والذهنية ..



أما بالنسبة للأطفال ، فإن أحلامهم لا بد أن تكون ذات
صور أبسط من أحلامنا .. لان قواهم النفسية لم تصل
بعد الى درجة التعقد والالتواء والتشابك التى لدى
البالغين

وأحلام الاطفال هى فى الغالب تحقيق صريح وواضح
لرغبات ، ولذلك فهى ليست مشكلة علمية من ناحية
التأويل والتفسير .. ولكن قيمها الكبرى فى كونها
دليلا على أن جميع الاحلام فى جميع الاعمار تستهدف
تحقيق رغبة الحالم ..

ولذا أورد هنا أمثلة ونماذج من أحلام الاطفال ،
سجلتها فور سماعها من أطفالى .. لانهم أقرب النماذج
التى تحت يدي

وأبدأ بحلم ابنتى وعمرها يومئذ أكثر قليلا من ثماني
سنوات ، أخذناها الى رحلة فى الجبال فى ناحية
■ هالشتاد ■ وصحبنا معنا أحد أبناء جيراننا وعمره اثنتا
عشرة عاما ■ وهو فتى لطيف وسيم يبدو أن آنستنا
الصغيرة شغفت به ، وبعد يوم استيقظت من نومها
وقالت لى :

ـ رأيت فى الحلم ان ■ اميل ■ صار من أفراد الاسرة
.. يدعوك بابا ، ويدعو والدتى ماما .. وينام مع اخوتى
الفتيان فى حجرة واحدة .. ودخلت ماما الحجرة ووضعت

تحت وسائدنا قطعا كبيرا من الشكولاتة ملفوفة في ورق
أزرق وأخضر

وكانت جميع أجزاء هذا الحلم واضحة لى ما عدا
حكاية الشكولاتة ، فأسعفتنى زوجتى بأصل القصة ..
ففى اليوم السابق عندما صحبت الام الاطفال جميعا الى
المحطة ، رغبوا فى الوقوف أمام آلة يضع فيها المرء النقود
فتقدم له قطعا من الشكولاتة ملفوفة فى ورق فضى متعدد
الالوان .. ولكن زوجتى لم تجد فى الوقت متسعا فلم
توافق ..

وأما أن ينادينا « اميل » ابن الجيران « بابا » و « ماما »
فمصدر هذا ان « اميل » تكلم عنا فى اليوم السابق بهذه
الصفة فعلا على سبيل التأدب .. فانتهزت ابنتى هذا
التعبير لتحلم أن « اميل » صار من أفراد الاسرة فعلا
بصفة دائمة ، وهى الرغبة التى كانت تخامرها .. ولما
كانت صغيرة ولا تعرف شكلا للارتباط بمن تحبهم بحيث
تجعلهم من أفراد الاسرة على الدوام سوى علاقة الاخوة
.. فقد تصورته أخا لها ..



وانتقل الى حلم آخر لابنتى الصغرى ، وكانت سنها
ثلاث سنوات تقريبا .. وكنا قد أخذناها فى نزهة لعبور
البحيرة فى قارب ، وأعجبتها النزهة حتى انها استقصرت
زمنها ، ورفضت أن تغادر الزورق عندما ألقى مراسيه
وملأت الدنيا صراخا .. وظلت تصرخ حتى وصلنا الى
البيت ، وهناك نامت من شدة الإعياء ، ولما استيقظت
قالت متلهلة :

— ركبنا الزورق وعبرنا الى الشاطئ الآخر جملة
مرات ..

وواضح أن هذا الحلم تحقيق مباشر لرغبتها ..

وأسوق حلما ثالثا لابنى البكر « اذ كان عمره ثمانى
سنوات « فقد رأى نفسه يركب العربية الحربية مع
« اخيل » البطل اليونانى .. وكان فى اليوم السابق
يقرا بشغف كتابا عن الاساطير اليونانية



وليس لنا من سبيل الى معرفة شىء عن أحلام
الحيوانات « ولكن يظهر ان هناك اعتقادا شائعا بأنها تحلم
.. فالمثل الشعبى يقول :

— حلم الاوزة بمكيال من الذرة ..

وهذا المثل تطبيق لنظيرتى فى ان موضوع الاحلام
دائما هو تحقيق رغبة الحالم .. ايا كان مستوى هذا
الحالم



لماذا تتشوه الاحلام ؟

ويواجهنا الآن سؤال هو : ان من الاحلام ما هو مؤلم
أشد الألم ومخيف مزعج .. فكيف يمكن أن ينطوى هذا
اللون من الاحلام على تحقيق لرغبة الحالم ؟ وإذا كان
الغرض منها أساسا هو تحقيق رغبة الحالم ، فلماذا لم
يسلك الحلم السبيل المباشر وآثر الالتواء والتشويه ؟ !
وهذا بطبيعة الحال يجرنا الى سؤال محدد هو : لماذا
تتشوه صور احلامنا في كثير من الاحيان ..

وأرى أن أمهد للجواب عن هذا السؤال بعرض حلم
آخر من احلامي الشخصية ، قد اضطر فيه للكشف عن
بعض تفاصيل حياتي الخاصة .. ولكن عزائي أن هذا
التصريح قد ينير أمامنا المشكلة التي بين أيدينا تمام
الانارة ..

في عام ١٨٩٧ بلغني أن اثنين من كبار اساتذة الجامعة
زكياني لشغل وظيفة أستاذ استثنائي .. فوقع مني هذا
الخبر المفاجيء موقع السرور ، خصوصا وأن هذين
الاستاذين الجليلين لم تكن تربطني بهما صلات شخصية
فلا محل للظن أنهما حاياني ، بيد أتى نهيت نفسي عن
الاعتماد كثيرا على تلك التزكية لان ترقية الاساتذة كانت
خاضعة مباشرة لوزير المعارف ، وكثيرا ما تجاهل الوزير
مثل هذه التوصيات ، وكم من زميل أقدم مني ظل
سنوات يجرى وراء هذا الامل دون طائل ! وليس هناك
ما يدعوني للتفاؤل بصفة خاصة .. فرتبت نفسي على

الفشل في هذا المسمى ، ولم أجد في ذلك كبير عناء لاننى قانع بما عندى ، ونجاحى في مهنتى يغنينى عن التماس هذا اللقب ..

وزارنى ذات يوم أحد الزملاء الذين أشرت الى طول انتظارهم عبثا لتلك الترقية ، ولكنه كان طموحا ، فلم يكف عن طرق أبواب كبار رجال الوزارة ملحقا فى الرجاء ، وروى لى كيف انتحى بأحد كبار الموظفين فى ذلك اليوم جانبا ، وطلب منه أن يصارحه بسبب الماطلة فى ترقيته ، وهل يرجع ذلك الى ديانته اليهودية وما يلقاه اليهود من اضطهاد .. فأفهمه الموظف الكبير بلباقة أن تيسر الراى العام لا يسمح للوزير فى الوقت الحاضر بترقية اليهود .. وقد أزعجنى هذا الحلم طيعا لاننى يهودى مثل هذا الزميل ، وان كنت قد وطنت النفس من قبيل على الاستسلام للغبين الذى لا مفر منه ..

وفى الليل رأيت الحلم الآتى :

الزميل « ر » شكله شكل عمى وأشعر نحوه فى الحلم بانعطاف شديد .. وأجد وجهه يصاب أمامى بتغير ، فيزداد طوله وتنبت له لحية صفراء .. !

ولما استيقظت من نومى جعلت أضحك من سخافة الحلم ، ولكن الحلم جعل يراود ذهنى فقررت أن أحلله .. وأول عناصر الحلم أن « ر » له شكل عمى يوسف .. وهذا العم تورط منذ ثلاثين سنة فى عمل تجارى يحرمه القانون ، وضبط وأتزل به العقاب ، وكان أبى لا يذكر هذا العم الا ويهز رأسه قائلا :

— يوسف ليس شريرا ولكنه أحمق .. !

فمعنى أن زميلى « ر » هو عمى يوسف فى الحلم ، مرادف للقول بأن « ر » أحمق ، ويؤيد هذا الراى السمج أن « ر » بدا فى الحلم بلحية صفراء مثل لحية عمى فى حين

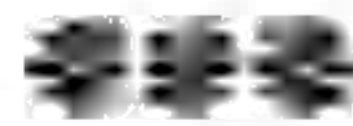
أن لحية « ر » كانت سوداء ، فلا محيص إذن من القول بأن مراد الحلم من هذه الصورة هو رمى زميلى « ر » بالسفاهة والحمق ، وهما صفتان تقتربان بالعم يوسف فى ذهنى ..

ولا أجد مبررا لهذا الوصف سوى رغبة الحلم فى أن يعزىنى أو يشجعنى .. كأنه يريد أن يقول أن تخلف « ر » عن الترقية يرجع الى سبب غير التعصب الدينى « انه سفاهة » ر « المزعومة .. وهذا من شأنه أن يقوى روحى المعنوية لانه سينفى أن تكون ديانتى سببا فى اضطهادى ..

ولكن لماذا شعرت فى الحلم نحو « ر » بانعطاف شديد حينما كنت أشعر انه عمى يوسف ؟ .. هل كان هذا الشعور موجها نحو عمى يوسف أم نحو زميلى « ر » ؟ أما عن يوسف فلم أشعر نحوه فى أى يوم من أيام حياتى بانعطاف ، وأما زميلى « ر » فكنت أقدره ، ولكنى لم أشعر نحوه بهذه الدرجة من العطف .. فلماذا عمد الحلم الى المبالغة فى هذه الناحية ؟ .. فكأنما هذا الشعور الزائد حيلة من حيل الحلم يراد بها ستر حقيقة معينة عن ادراكى « فرمى » بالحماسة أمر كريبه وظالم .. وكى يدارى الحلم هذا الظلم موهه بالعطف والانعطاف .. وكأنه تكفير موجه الى « ر » عما رميته به من مذمة بغير وجه حق ، انه أشبه بالكفارة أو « التقية » ، وهو نوع من السلوك نمارسه فى حال اليقظة فى كثير من الاحيان « فالكاتب السياسى حين يخوض فى موضوعات يعلم أنها تغضب الحكومة يعلم أن ذوى السلطان يملكون مصادرة كتاباته أو معاقبته شخصيا .. فيعمد الكاتب اتقاء للرقابة وشروورها الى تمويه كتاباته وإخفاء آرائه بعبارات ملتوية تظهر المدح وتبطن الذم والتشديد » ويخلع على

هجماته المسمومة سمات البراعة والمجاملات المعسولة !
وكلما اشتدت وطأة الرقابة زادت الحاجة الى التخفى
والاتقاء ، وصار القارئ مطالباً بالفطنة كي يستشف
ما بين السطور .. !

ونخرج من هذا بأن لدينا في الحلم قطبان .. أولهما
الرغبة التى يريد النائم أن يحققها ، والقطب الثانى هو
الرقابة التى تحول دون تحقيق الرغبة اذا لم تحز
رضاها .. والرغبة تنبع من اللاشعور ، فهى مثل حرس
الحدود الذى يمنع غير المرغوب فيهم من الدخول ، وعلى
غير المرغوب فيهم فى هذه الحالة أن يتنكروا فى أشكال
وأزياء غريبة كي يفلتوا من الرقابة .. وهذا هو السبب
فى الالتواء والتنكر أو التشويه الذى يصيب بعض صور
الحلم فيسبب لنا ذلك عجزاً عن الفهم أو آلاماً أو خوفاً ..



وكى نبرهن على أن جميع الاحلام — حتى المؤلمة —
هدفها تحقيق الرغبة ، سأروى الآن أحلاماً نموذجية من
هذا النوع ! وبعض هذه الاحلام مما رواه مرضاى :
قالت لى احدهن .. وكانت مشهورة بذكائها :

— انى لاعجب من اصرارك على أن لا هدف للاحلام الا
تحقيق الرغبات ، فما رأيك فى اننى حلمت حلماً ليس فيه
شئ الا رغبات لا سبيل الى تحقيقها .. فكيف يتفق
هذا مع وجهة نظرك ؟
— ما هو هذا الحلم ؟

— حلمت انى انتويت اقامة مأدبة عشاء .. ولكن
ما عندى من السمك المدخن كان أقل مما يجب ، ففكرت
فى الخروج الى السوق لاحضر شيئاً يصلح للاكل ،
تذكرت أن اليوم الاحد وأن السوق مغلقة .. فلجأت الى

التليفون لاستنجد ببعض من أعرف فلم أجد في التليفون
حزارة ، فاضطرت للتنازل عن رغبتى في إقامة تلك
المأدبة

وأخذت أسألها عن ذكرياتها في اليوم السابق للحلم ،
فعرفت منها أن زوجها - وهو من تجار اللحوم بالجملة -
أخبرها يومئذ بقلقه من ازدياد وزنه ، وأنه قرر أن
يستيقظ في الصباح الباكر للقيام بالتمارين الرياضية ،
وأنه ينوى أن يتبع نظاما صارما في الطعام ، وأنه سوف
لا يقبل أية دعوة للعشاء

ولا أجد في هذا كله ما يوضح الحلم .. فأظل الاحتمال
بالأسئلة الى أن اتغلب على مقاومتها ، فتعترف لى أنها
في ذلك اليوم أيضا زارت صديقة تشعر نحوها بالغيرة
لأنها جميلة رغم نحافتها وزوجها يعجب بها ويشنى عليها ،
وقد حدثتها هذه السيدة النحيفة عن رغبتها في زيادة
وزنها ، ثم سألت مريضتى : « وبهذه المناسبة متى تقيمين
لنا إحدى ولائمك الطيبة ذات المأكول الدسمة ؟ »

فلما سمعت هذه المعلومات ، تكشف لى المفزى
الحقيقى للحلم ، وصار فى استطاعتى أن أقول لمريضتى :
- الآن أستطيع أن أحدد لك تلك الرغبة التى حققها
حلمك ! فكأنك اغتظت من رغبة غريمتك فى أكل طعامك
كى يزداد وزنها وتمتلىء أعطافها فيزداد إعجاب زوجها
بها .. ونبتت لديك أمنية فحسواها الا تقيمى مأدبة لآى
إنسان اكراما لخاظرها ، وخصوصا أن زوجك ذكرك فى
اليوم نفسه أن ولائم العشاء هى التى تساعد على السمنة
.. والآن بقى شىء باسميدتى ..

- ما هو ؟

- أريد أن أعرف منك ما الذى يرتبط فى ذهنك
بالسمك المدخن ؟

... أوه ! انه الصنف الذى تفضله تلك السيدة !
وها نحن اولاء نتبين أن المريضة قد عمدت فى الحلم الى
حيلة الابدال فوضعت نفسها فى محل تلك السيدة التى
تغار منها لان تلك السيدة تحتل عند زوجها مكانة تطمح
هى فيها .. فهى تتمنى لو حلت محل صديقتها فى
اعجاب زوجها ، ثم جعلت صديقتها المتمثلة فى شكلها
لا تظفر بتحقيق أى رغبة من رغباتها ..



وسأسوق الآن حلما آخر لاحدى مريضاتى أيضا ،
روته لى كى تدحض نظرية أن الحلم تحقيق رغبة ، وهذه
المريضة شابة قالت لى :

... ان لاختى كما تعلم ولدا واحدا اسمه كارل ..
اما أخوه البكر أوتو الذى كان الاثر عندى فمات منذ
مدة .. وأنا لا أتذكر انى أحب كارل ، ولكن ذلك الحب
لا يعد شعرة بالنسبة لحبى لاختى الراحل الذى ربيته
وكانه ابنى ، والليلة الماضية رأيت فى المنام أن كارل أيضا
قد مات ، وأنه مسجى فى نعشه ، ومن حوله الشموع ..
وكان المنظر كله مطابقا من جميع الوجوه لليلة وفاة أوتو
التي تعلم كم كانت قاسية على نفسى ، فقل لى ما معنى
هذا الحلم ؟ .. هل معناه انى أتمنى أن تفقد اختى طفلها
الوحيد ؟ أم معناه انى أتمنى لو كان الميت هو كارل لا
أوتو ؟

وقد ساعدنى على معرفة التفسير الصحيح ، اننى كنت
على دراية تامة بتاريخ هذه الشابة النفسى والعائلى ..
كنت أعلم أن هذه الشابة فقدت أبويها فى طفولتها ،
فتربت يتيمة فى كنف اختها الكبرى .. وفى بيت تلك

الاخت تعرفت برجل من أصدقاء الاسرة تعلق به قلبها ، وأوشك الزواج أن يتم لولا أن أختها الكبرى أحبطت المشروع « وحولت الفتاة كل عواطفها نحو ابن شقيقتها أوتو ، ثم مات أوتو فجأة ، فكاد الحزن أن يهدمها ، وغادرت بيت أختها لتعيش بمفردها وتحاول عبثا التخلص من ذكرى ذلك الحب الفاشل .. وان كانت عزة نفسها لاتسمح لها بالسعى الى تجديد العلاقة ، فصار كل حظها من لقياءه ، أن تذهب لمشاهدة المحاضرات العامة التي يلقيها ذلك الحبيب لانه كان من رجال الفن والادب ، وكان آخر حفل من هذا القبيل في اليوم السابق على الحلم ، ولكن محاضراته كانت قليلة ومتناثرة ..

وسألتها :

— هل حضر الاستاذ الى بيت أختك يوم وفاة أوتو ؟
— طبعا .. حضر بعد انقطاع طويل ، ووقف بجوارى امام تابوت أوتو الصغير الذي تحيط به الشموع ..
— ان هذا هو المضمون الاساسى لحلمك الليلة .. فلو أن كارل مات لصار من المحتم أن يحضر الاستاذ كما حضر يوم وفاة أوتو للعزاء ، ولاتيحت لك الفرصة لرؤياه عن قرب ..

وواضح أن الشابة ذات كبرياء .. وانها لا تسمح لرغبتها في الاجتماع بحبيبها أن تظهر .. فتحتال على فرصة لقائه بذلك الافتراض الذى يحز في القلب حزا ..
ونلاحظ أن الصور الاليمة التي تلجأ اليها هذه الاحلام تزداد كلما اشتدت ممانعة الرقابة في ظهور الرغبة المنشودة ، وما أشبه ذلك بأعمال التنفير والتقييح التي تستخدم في الماكياج والتنكر استخداما مفرطا ، كلما كان

الشيء المراد اخفاؤه ممشوعا منعاً باتاً ويترتب على ضبطه عقاب صارم ..

فتشويه الحلم وتبشيعه وشحنه بالفواجع والآلام ،
انما هو اثر من آثار الرقابة المشددة مثلما تخفى الاسلحة
المهربة في تجويفات داخل الكتب ، او تخفى المخدرات
داخل نعش ميت !

وعلى هذا نستطيع أن نقول ان أى حلم انما هو فى
الغالب تحقيق لما يكون مقنعا وملتويا لرغبة تكون فى
معظم الاحوال مكبوتة او مكبوحه !



الفصل الثالث

عناصر الخلق • أهم مخرجات



عناصر الحلم

ان اول ما اسجله ، بناء على تجربتي الشخصية ، هو ان الحلم له صلة دائمة بأحداث اليوم السابق على الحلم ، وقد ثبتت لدى صحة هذه النظرية من أحلامي كلها ، ومن كل الأحلام التي فسرتها لأصدقائي ومرضى . ولذا فان اول ما أبدا به عند الشروع في تفسير أى حلم هو ان انقب في أحداث اليوم السابق .. وقد دلت التجربة على ان هذا البحث منتج الى حد كبير ..

وسأذكر الآن بضعة من أحلامي الخاصة تثبت الصلة الوثيقة بين صور الحلم أو عناصره وبين أحداث النهار السابق مباشرة ..

وأبدا بالحلم التالي :

أجد نفسي أقصد بيتا فلا أستطيع أن أدخله الا بعد صعوبات كثيرة .. وأثناء هذه المحاولات تقف سيدة في انتظاري ..

والحادث الذي يرتبط بهذا الحلم هو ما حدثتني به إحدى السيدات في تلك الأمسية بأنها اضطرت أن تنتظر طويلا في بعض المتاجر الى ان تسلمت البضائع التي اشترتها ..

وحلمت في مرة أخرى اني أعددت بحثا عن نوع من النبات ..

وكان الحادث المرتبط بهذا اني رايت في اليوم السابق

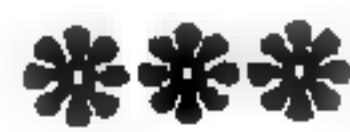
فى واجهة مكتبة مررت بها فى الطريق بحثا لفت نظرى
عن نبات معين ..

ورأيت حلما ثالثا انى ذهبت الى احدى المكتبات لادفع
قيمة الاشتراك السنوى لمجلة علمية وقدره عشرون
فلورينا ..

وواضح من هذه الامثلة أن للاحداث التى وقعت فى
اليوم السابق مباشرة على الحلم صلة ما بما فى الحلم .
ولكن ربما سأل سائل : هل من الضرورى أن تكون
للحلم صلة بأحداث اليوم السابق ، أم يكفى أن يكون
الحادث فى يوم قريب بوجه عام ؟

وانا لا أرى فرقا كبيرا بين الافتراضين .. ولكنى
أفضل أن أبدأ بأحداث اليوم السابق لافتش فيها عن
المصدر المباشر للحلم ..

وقد يكون الحلم بريئا جدا فى مظهره ، ولكن هذه
البراءة قد لا تكون الا قناعا تنكريا للافلات من الرقابة
المفروضة على الشعور ، ولذا أحب أن أعرض هنا نماذج
لتلك الاحلام البريئة الخادعة فى براءتها ..



وأبدأ بحلم لسيدة مثقفة من النوع الذى لا يظهر ما فى
سريره ، وتتمسك بالبراءة فى مظهرها .. قالت :
- رأيت فى المنام انى ذهبت الى السوق ، ولكنى
وصلت متأخرة فلم أستطع الحصول على شيء .. لا من
القصاب ولا من بائع الفاكهة ..

ويبدو هذا الحلم تام البراءة لاول وهلة .. ولكنى لم
أطمئن الى هذه البراءة ، فرحت أستوضحها عما اتبعته
عادة عندما قررت الذهاب الى السوق .. فقالت انها
حينما تمضى الى السوق يصحبها الطاهى وهو يحمل

السلة ، وفي الحلم سألت القصاب عن صنف معين ، فقال لها أنه من المستحيل الحصول عليه الآن ، وعرض عليها صنفا آخر وهو يزكيه .. ولكنها تركته وذهبت الى بائعة الخضر والفاكهة فاذا بها تعرض عليها نوعا لاتعرفه من الخضر أسود اللون مربوط في حزم .. فقالت الحاملة :

— هذا شيء لا أعرفه فلا أستطيع أن أخذه ..
وتبين من المناقشة أن هذه السيدة كانت قد ذهبت فعلا الى السوق في اليوم السابق ، فوصلت متأخرة ورجعت من غير أن تشتري شيئا لان محل القصاب كان مغلقا .. !

وكان من الممكن أن نعتبر الحلم اشارة الى ما حدث بلا تعديل ، لولا أن هذه الاحلام البريئة تحتاج الى كثير من « الخبث » في تفسيرها .. ففي اللغة الالمانية تعبير مبتدل يستعمل فيه محل القصاب المفتوح كناية عن اغفال الرجل أقفال فتحة بنطلونه من الامام .. ومثل هذه الكناية ترجح كفتها اذا ربطنا بينها وبين نوع الخضر الذي عرضته عليها البائعة ، فهو شيء أسود اللون طويل مربوط في حزم .. وهو في مجموعه اشارة الى شيء جنسى ، فمحل القصاب في الحلم مفتوح ، وهو يغريها بقبول شيء لا تريده فتصرف لتعرض عليها بائعة الخضر شيئا يظهر في الحلم أوضح دلالة على الفعل الجنسي ، ولكنها تنكر معرفته ، وتعرض عنه !

وليس يعنينا الآن بقية مدلول الحلم ، وانما حسبنا في هذا المقام أن هذا الحلم البريء كان له مضمون ليس بريئا كل البراءة !



ورأت هذه السيدة البريئة المظهر شيئا آخر .. رأت

أنها تضع في الشمعدان شمعة كبيرة ، ولكن الشمعة
تالين في يدها ولا تقف كما تريد منها فتقول لها زميلاتنا
انها خائبة .. ولكن المعلمة تقول انها غير مسئولة ..
وقد حدث في اليوم السابق أن الحاملة حاولت وضع
شمعة كبيرة في الشمعدان ، ولكن لم يحدث أنها لانت
في يدها .. بل كانت على ما يرام ، وقد أخذ الحلم
الشمعة واستخدمها في « أغراضه » الخاصة ، ومن
المعروف أن الشمعة الغليظة رمز جنسي ، لان لينها وعدم
وقوفها أثناء الاشتعال هو كناية واضحة عن العجز
الجنسي للرجل .. وإذا كان العجز منسوباً الى الرجل
فالسيدة غير مسئولة عن تلك الخيبة ..

وواضح من هذين الحلمين البريثين أن الجنس هو
السبب في اشتداد الرقابة الشعورية ضد تحقيق الرغبة
الجنسية — كما هو مألوف — فأدى ذلك الى استخدام
رموز وصور ملتوية لاختفاء معالم تلك الرغبة ..



وقد لاحظت أيضاً أن الحلم كما يستخدم أحداث اليوم
السابق قد يشير أيضاً الى أحداث موهلة في القدم وقعت
في فترة الطفولة الأولى ، بحيث يخيل للانسان أن ذاكرته
قد أتت عليها ولم يعد في المستطاع استعادتها ..

ويحضرني بهذه المناسبة حلم طريف رواه لي بعض
المواظبين على حضور محاضراتي ، وكان يؤكد لي أن
أحلامه كلها صريحة ليس فيها التواء أو تشويه ..

روى لي هذا الشخص أنه رأى في المنام المدرس الذي
كان يشرف على تعليمه في البيت — وهو طفل — نائماً في
سرير واحد مع مربيته الشابة التي لم تترك البيت إلا
عندما صار الحالم في سن الحادية عشرة ، وقد حدثت

وقائع هذا الحلم في نفس اطار البيت القديم الذى أمضى به
صدر طفولته

ولما روى ذلك الحلم لشقيقه الاكبر ضحك ، وقال له
ان حلمه قد وقع فعلا ، واكد له أنه عندما كان - أى الاخ
الاكبر - فى السادسة من عمره ، كان المدرس وعشيقتة
المربية يسقيانه الجعة اذا ما سهر الوالدان خارج البيت
فيفيب عن وعيه . وأما الاخ الاصغر - صاحب الحلم -
فكان فى الثالثة من عمره ولا يخشى من فطنته ، فلا يبالي
العاشقان أن يناما فى فراش المربية معا . . مع أن الطفل
الصغير يحتل فراشا فى نفس الحجرة !

وهناك نوع من الاحلام يسمى الاحلام الراجعة . . وهو
عبارة عن حلم يعاود الشخص - منذ فترة طفولته الى
أن يكبر - فى الحين بعد الحين من غير تعديل تقريبا . وليس
لدى محصول كبير من هذه الاحلام . . ولم يقع لى
شخصيا شئ منها ، ولكنى أذكر هنا حلما لطيب من
أصحابى جاوز الثلاثين كان يرى بين الحين والحين منذ
طفولته أسدا أصفر اللون يظهر فى أحلامه ، ولم يزل يظهر
له الى الوقت الحاضر ، وكان هذا الاسد من الوضوح
بحيث يستطيع وصفه وصفا دقيقا ، وظل يجهل مصدر
هذا الحلم الى أن عثر بين متروكات طفولته على تمثال
لاسد أصفر ، كان يلعب به وهو طفل ثم نسي أمره . .
وأخبرته أمه أن هذا الاسد كان لعبته المفضلة ، مع أنه
كان قد نسي أمره تمام النسيان . .

وليس من الضرورى أن تكون مشاهد الطفولة التى
طمرها النسيان متمثلة فى أحلام كاملة ، بل يكفى أن تعود
تلك الذكريات الطفلية فى لحظة واحدة من لمحات الحلم دون
أن تكون لبقية أجزاء الحلم صلة بتلك الذكريات

وسأذكر هنا حلم سيدة مسنة اندمجت فيه مجموعة من ذكريات الطفولة في صورة واحدة :

حلمت هذه السيدة العجوز أنها خرجت لشراء بعض لوازمها ، وكانت مسرعة في سيرها فوقعت على ركبتيها في الشارع ، وتجمع الناس من حولها وكان أكثرهم من سائقي العربات .. ولكن أحدا منهم لم يساعدها على النهوض ، وتحاول هي النهوض أكثر من مرة ولكن بلا طائل ، وأخيرا تنهض واقفة وتجد نفسها داخل عربة تقودها الى منزلها ، فيقذفها الواقفون من نافذة العربة المفتوحة بسلة خضر كبيرة ملانة بالحاجيات ..

وواضح أن المشي بسرعة والوقوع إنما هو رجوع بهذه العجوز الى مرحلة طفولتها ، وعندما سألتها عرفت أن بين ذكريات طفولتها الاولى منظر شاب في السابعة عشرة من عمره يسقط في الطريق على أثر اصابته بنوبة صرع ، فأحضره الناس الى البيت في عربة .. ولم تكن رأت هذا المنظر بعينها ولكنه روى لها ..

ومما لاشك فيه أن السقوط في الاحلام ذو معنى جنسى ، فحين تسقط المرأة فهي ساقطة بمعنى الآثمة أو العاهرة .. والشارع الذي سقطت فيه هو شارع جرابين، وهو مكان تكثر فيه أولئك النسوة !

واذا أضفنا الى ذلك أن هذه السيدة تزوجت في مقتبل عمرها رجلا أقل منها في المستوى الاجتماعي والمالي ، فاضطرت أن تذهب الى السوق بنفسها حاملة سلة الخضر كأنها من زمرة الخدم .. فمعنى وقوف الحوذية من حولها ينظرون اليها ولا يساعدونها أنهم يزدرونها .. ومعنى قذفها بالسلة هو تعييرها بأنها نزلت الى مستوى الخدم !

ولكن لماذا الحوذية بالذات ؟ .. ان ذلك له صلة

بذكرى بعيدة من ذكريات الطفولة ، حين طردت إحدى
خادمات الاسرة بعد افتضاحها بعلاقتها بحوذى ■ ولعل
هذا هو الارتباط في الحلم بين الحوذية وبين السقوط !..



والآن اعرض حلما حلمته أنا شخصيا .. فقد نمت
وأنا جائع مجهد ، فحلمت أنى دخلت المطبخ التمس شيئا
أكله .. فاذا ثلاث نساء احداهن ربة البيت ، وكانت
تصنع فطيرا ■ فطلبت منى أن أنتظر الى أن تفرغ من
صنعه .. فاستاء واغادر المطبخ وأرتدى معطفا طويلا
جدا ■ فأخلعه لهذا السبب وأرتدى معطفا آخر طويل
الذيل عليه وشى تركى ، ويأتى رجل لا أعرفه مستطيل
الوجه مدبب اللحية ليمنعنى من ارتداء هذا المعطف ■
قائلا انه يخصه .. فأعجب لذلك وأريه الزخارف التركية
فيقتنع بذلك ، ثم تنعقد بيننا صداقة

ولما بدأت فى تحليل هذا الحلم ، ساقنى ذلك الى أول
قصة قرأتها وأنا فى الثالثة عشرة ، وبطلها ينتهى الى
الجنون وهو يردد أسماء النسوة الثلاث اللواتى أثرن فى
حياته اكبر الاثر ، وكلمة « النسوة الثلاث » تذكرنى
بآلهات القدر الثلاثة .. واحداهن هى الام ، والشعور
بالجوع هو الذى يربطنى بمصدر الاشباع عند الطفل وهو
الام ، وأما أن المرأة التى رأيتها فى المطبخ كانت تفرك
يديها كمن تصنع فطيرا ، فانها تذكرنى بأمى لا لانها كانت
تصنع الفطير بل لاننى سألتها وأنا فى السادسة من عمري
كيف أعرف أن الله خلقنا من طين كما جاء فى التوراة ،
وكانت أمى شديدة التدين وسليمة علماء اتقياء من حملة
التلمود ، ففركت يديها بشدة فرأيت فتائل سوداء تشبه
الطين .. فكان هذا برهانا كافيا لاقتناعى على أن البشر
من تراب والى تراب يعودون !

أحلام نموذجية

هناك أحلام تجرى على غرار واحد عند الجميع .. فلا يكاد يختلف فيها حال من حال ، ولا يكاد يختلف فيها المعنى على حسب الحالمين .. ولعل سائلا يسأل عن علة وحدة الصور واللغة والدلالة في هذه الأحلام ، في حين تختلف الصور والدلالة في الأحلام الأخرى .. والجواب أن هذه الأحلام التي تجرى على منوال واحد تستمد وحدتها وتشابها من صدورها عن علة واحدة لدى سائر الناس .. وهذا هو السبب في أننا نهتم اهتماما خاصا بهذا النوع من الأحلام ، ويرجى أن نخرج من دراسته بمزيد من الفهم عن الأحلام .. وسأبدأ الآن بتناول أنواع من هذه الأحلام النموذجية ذات معان محدودة ..

١ - أحلام الخزي بسبب العرى

هناك أحلام يرى الحالم فيها نفسه عاريا كما ولدته أمه ، أو متجردا من جانب هام من ثيابه المفروض ألا يظهر أمام الناس بدونه ، ولكن ربما رأى الحالم نفسه على هذه الصورة ، ولم يشعر بالخزي على الإطلاق .. وفي هذه الحالة لا يهمنا أمر حلمه ، وإنما يهمنا فقط الحلم الذي يشعر فيه الحالم بالخزي لتجرده من كل ثيابه أو

بعضها بحيث يتمنى لو توارى عن العيون ■ بأي شكل من الأشكال ■ إلا أنه يتسمر في مكانه وكأن قوة أكبر منه تمنعه من الحركة .. فمثل هذا الحلم هو الذى نسميه حلما نموذجيا .. فلباب قيمته هو الاحساس بالخزى ■ ثم العجز عن علاج موقفه ، وشعوره بالابتئاس لذلك العجز !

والحقيقة انه من النادر أن يكون العرى في مثل هذا الحلم عريا تاما .. بل يكفي جدا أن يكون عريا جزئيا ■ انما المهم هو الشعور القوي بالخزى مع ان الجزء الناقص من الثياب قد لا يبرر اطلاقا كل هذا الخزى .. بل قد لا يكون هناك عرى على الإطلاق ، وانما هو مجرد اهمال في طريقة الهندام .. فان كان الحالم من العسكريين يكفي أن يكون حزامه مفتوحا ، وأزراره غير لامعة ، أو أن يكون بنطلونه مدنيا .. ولكن لابد على كل حال أن يشعر الحالم بشحنة قوية من الخزى نتيجة لذلك النقص .. والغالب أن الذين يرى الحالم نفسه شديد الخزى أمامهم أشخاص قريبا ، ملامحهم غير معروفة وغير واضحة .. وهم لا يبدون أى اهتمام بنوع العرى الذى كان مصدر خزى الحالم ■ وكأنهم لا يلاحظون وجوده اطلاقا فمن العلامات المميزة لذلك الحلم النمطى ، تقابل خزى الحالم لعرية أو شذوذ زيه وعدم اكتراث الناس .. فكأن العرى أو شذوذ اللبس أنتج احساسا متناقضا لدى الحالم ولدى من يشاهدونه في الحلم ، اذ كان المفروض أن يكون لخزى الحالم صدى من دهشة الناس أو تساؤلهم أو فضولهم أو استهجانهم ، وفي اعتقادى أن حب الانسان لنفسه وحرصه على تحقيق رغباته هو الذى جعله يحور الحلم ليحل عدم الاكتراث بالجمود محل الامتنعاض أو الفضول .. اما شعور الحالم بالخزى ، فأرجح أن الذى

منع من اخفاء معالنه أو ابداله عامل أقوى من ذلك ، والمهم أن التناقض بين الخزى وعدم الاكتراث يتوفر لهذا النموذج من الاحلام

وهنا تناقض خلىق لان يدلنا على أن تلك القسوى الخفية التى تبقى على شعور الخزى انما هى رغبة جنسية محرمة • عليها رقابة شديدة جدا من الوعى تصر على أن تكبتها ..

ومن تجاربى فى تحليل مرضاى الذين عرضت لهم مثل هذه الاحلام • أستطيع القول أن محتوى الحلم ينقل ذكريات ممعنة فى البعد من ذكريات الطفولة ..

وتعليل ذلك أنه لم يكن هناك وقت نظهر فيه عراة تماما غير صدر طفولتنا .. ولم يكن هذا العرى مصدر خزى لنا ، ومن استطاع أن يلاحظ الاطفال الصغار حين تسنح لهم فرصة التعرى من ثيابهم سيراهم يتهللون فرحا لتلك الفرصة ، ويتراقصون مزهوين باستعراض ما كان مغطى من أجزاء أجسامهم ، والغالب أن تصيح الام موجهة أطفالها وداعية اياهم الى الاحتشام ، ومذكرة اياهم أن هذا عار لا يليق ..

وتصور السعادة فى العرى ، انما هو رجوع بالمرء الى تلك الفترة الاولى من الطفولة السعيدة .. بل ان تصور الفردوس المفقود للبشرية انما هو تصور لحالة الطفولة العارية ، بدليل أن الناس فى الفردوس كانوا عرايا تماما لا يستر أجسامهم شىء ولكنهم مع ذلك لا يشعرون بالخجل ، الى أن وقعت الواقعة المشهورة وأدركوا أنهم عرايا فأخذوا يقصفون من أوراق شجر الفردوس ليستروا عوراتهم لانهم أحسوا بالخزى الشديد ... وأعقب ذلك حكم الطرد من الفردوس ..

ومنذ ذلك التاريخ والبشرية تمضى فى التربية الجنسية

والتربية الاجتماعية التي تحرم هذا العرى غير المكثرت ..
ولكن أحلامنا تستطيع أن تترد بنا الى ذلك الفردوس
المفقود . وهذا ما يسمى بالأحلام الاستعراضية
والآن نريد أن نتكلم عن الأحلام الاستعراضية ..
هل يرى الحالم نفسه على صورته في أيام الطفولة وهو
عار ؟

كلا .. بل يرى نفسه في عمره وقت الحلم . وقد لا يرى
نفسه عاريا تماما لان الرقابة الشديدة تمارس نشاطها .
وتمنعه من الوصول الى تلك الدرجة من الاستباحة ..
ونلاحظ أيضا أن من يبدو أمامهم ناقص الثياب خزيانا
أشخاص غرباء ليس له بمعرفتهم سابق عهد ..

وهنا موضع للعجب .. ان الأشخاص الذين كنا نهتم
بهم اهتماما جنسيا في طفولتنا لا يظهرون في أحلامنا
الاستعراضية اطلاقا ، الا في حالة المصابين بالبارانويا
دون غيرهم .. بل المؤلف أن يختفى هؤلاء الأشخاص ،
ونرى في مكانهم مجموعة من الغرباء لا يكثرثون اطلاقا
للمنظر الاستعراضى الذى يقوم به الحالم ويخجل منه ،
وهذا النوع من الابدال فى الأحلام مؤلف .. وبفضله
يحل غرباء محل الشخص المشتى الذى من أرجله قام
الحالم باستعراضه العارى

وهذه الحيلة التى بها يضع الحالم مجموعة من الأشخاص
الغرباء مكان الشخص المشتى ، معناها فى لغة الحلم رغبة
الحالم فى أن يجرى استعراضه لجسمه أمام أنظار المحبوب
خلصة وخفية عن أعين الغرباء .. فعدم اكتراث الغرباء
- وكأنهم لا يرون - معناه أن الاستعراض العارى يتم
من غير أن يلاحظه الغرباء

ومجمل القول أن هناك رغبات تعودنا كبثها منذ عهد
الطفولة لأنها ممنوعة أو محرمة .. ولكنها تخترق

الاشعور ، وتظهر في أحلامنا مقنعة ، حتى تخدع الرقابة
الشعورية .. ومن أهم هذه الاحلام بلا شك أحلام العرى
الاستعراضية ..

٢ - عندما يموت الاحياء

وهناك نوع آخر من الاحلام النموذجية ، نرى فيها
شخصا من أحبائنا الاحياء وقد مات .. وربما كان هذا
الشخص والداؤ أو والدة أو أخا أو ابنا أو زوجة
ومن الواجب ان نفرق بين نوعين من هذه الاحلام
هما الاحلام التى لا يهتز فيها وجدان الحالم لذلك الموت
حتى انه يلوم نفسه أشد اللوم على جمود عواطفه حين
يستيقظ ويتذكر الحلم ، وهناك أيضا أحلام يشعر فيها
الحالم بفداحة الرزء ويسح فيها دمه مدرارا ، أما النوع
الاول الذى لا يهتز فيه وجدان الحالم للفجيعة ، فليس
الحلم النموذجي الذى نسعى هنا وراءه .. وإنما هو
حلم يرمى الى تحقيق رغبة أخرى خفية ، ويكفى أن أشير
هنا الى حلم تلك الشابة التى رأت فى منامها ابن أختها
الوحيد مسجى فى تابوته ومن حوله الشموع .. ولم
تحزن لموته ، فالحقيقة أن الرغبة التى يسعى حلمها
لتحقيقها ليست وفاة ابن الأخت بل خلق فرصة لمقابلة
حبيبها ، وعلى هذا الاساس لم يكن هناك ما يدعو للحزن
إذا نظرنا الى المحتوى الباطنى للحلم !

ولكن الاحلام التى تقترن عند موت شخص عزيز
بحزن أو بكاء ، فمحتواها الحقيقى هو الرغبة فى موت ذلك
الشخص !

وأنا أعلم أن الكثيرين يستنكرون هذا الكلام ..
ولذا سأجتهد فى اقامة البرهان بقدر الامكان على صواب
وجهة نظرى ، وسيكون ذلك عن طريق تفسير الاحلام
التى بين يدينا ..

إذا حلم حالم أن أباه مات مثلاً ، فليس معنى ذلك أنه يريد له الموت في الوقت الحاضر بل معناه أن هناك ذكرى مدفونة من زمن بعيد .. من عهد الطفولة مثلاً ، تتضمن هذه الرغبة التي كتبها اللاشعور ، فمعنى تحقق رغبة في الحلم لا يقتضى أن تكون رغبة حالية ، بل مجرد رغبة ساورت الحالم في عهد من عهود طفولته الاولى !

وانا اذكر هذا التحفظ ، وانا متيقن من أن الكثيرين لن ينعوا به ، ويستنكرون أن يتمنى طفل موت أبيه في أى لحظة من لحظات حياته ، وسينكرون بشدة أن يكون مثل هذا الخاطر خامرهم شخصيا في أى يوم من أيام حياتهم ، حتى في الطفولة !

ولذا نجد من المناسب أن نمهد لهذه الفكرة ببحث علاقة أى طفل باخوته .. فهناك خطأ شائع أن علاقة الطفل باخوته تقوم على الحب مائة في المائة ، اليس من المألوف أن نجد بين الاخوة البالغين فنونا من العدااء والتناؤد .. أن من السهل أن نتبع جذور هذا العدااء لنجدها متأصلة في السنوات الاولى من الطفولة ..

بل ان من اليسير أن نعرف اخوة بالغين تربطهم اليوم صلة المحبة ، وكانوا بشهادة الجميع في طفولتهم لا يكفون عن الشقاق والشجار .. فلا بد بين الاكبر والاصغر في الاخوة الاطفال من عدااء يقوم على السيطرة من جانب ، وعلى الشعور بالقهر والاذلال من جانب آخر .. ولا بد للاحقاد في هذه الفترة من أن تتأصل ، ولكن ليس معنى ذلك انطواء نفوس أولئك الاطفال على الشر ، لان هذه المرحلة من الانانية وتنازع الأطماع تتلوها في الغالب مرحلة أخلاقية تقوم على الايثار .. والايثار هو عملية سيطرة من الرقابة الشعورية على النوازع الفطورية الانانية ، فتكبحها أو تحولها الى صورة أسمى ..

وحيثما يتوقف هذا التحول الخلقى - قبل تمام النمو - يظل الشخص أنانيا يرفض أن يرى شيئا سوى مطالبه الخاصة ، فيندفع الى تحقيقها غير مبال ، وقد نسمى هذا انحرافا ، وهو ليس في حقيقته الا توقف عن النمو النفسى .. !

ومهما يكن من شيء ، فمن المسلم به أن الكثيرين ممن نراهم في حال كبرهم يعزون اخسوتهم كل الاعزاز ، ويبررونهم ، ويستهلون فجيرة فقدهم ، انما كانوا يضمرون لهؤلاء الاخوة انفسهم في عهد الطفولة رغبات انتقامية سيئة جدية ان تتحقق في اخلامهم وهم كبار !

ولا أحب أن اترك هذا الموضع من غير أن ألفت نظر القارئ الى امر شائع في جميع البيوت ، حين يولد طفل جديد للأسرة ، فاذا بالطفل الذى قد يكون فى الثالثة أو الرابعة من عمره يجد نفسه موضع منافسة ومزاحمة من وليد طارئ ، فيبدى من ألوان الضيق به والغيرة منه والعدوان عليه ما هو شائع معروف ..

وأنا أعرف شخصا طفلة لم تتم العام الثالث من عمرها ، حاولت محاولة جدية أن تخنق بيديها الصغيرتين شقيقها حديث الولادة .. فليس أشد من غيرة الاطفال الصغار ، ولا أصرح منهم فى الاعراب عنها ..

واذا فرضنا أن الوليد الجديد حقق رغبة الاخ أو الاخت فودع الحياة بسرعة ، فإن الاخ أو الاخت لابد أن يشعر بالارتياح للتخلص من هذا المزاحم الفضولى .. ولكن هذه الراحة لا تدوم ، فاذا بالطبيعة تفعل فعلها واذا بمولود جديد يظهر فى البيت ويستأثر بالرعاية والعناية والاهتمام ، ومن الطبيعى فى هذه الحالة أن يتمنى الطفل حدوث نفس المكروه المريح مرة أخرى ، ولا يمنع ذلك الا أن يكون الشقيق الاكبر اختا ، وأن تكون قد بلغت

من السن ما يبدأ فيه لديها نشاط الامومة .. فتعامل
هذا الوليد الصغير وكأنه دميته التي تدللها وتبنيها ..
وكل هذا جدير أن يؤصل لدى الاطفال الصغار
رغبات خبيثة وتمنى الموت لآخوتهم .. ثم ينمو تكوينهم
الاخلاقي فيدركون شناعة هذه الرغبة ويكتبونها في
اللاشعور ، وهذا ما يجعلها تظهر بعد سنوات طويلة في
الاحلام ..

ومن النادر حين أستعرض أحلام مرضاي أن يخلو
أحدهم من الحلم بوفاة أخيه أو أخته بصورة أو أخرى ..
وأطرف حلم من هذه الاحلام ما روتة إحدى مريضاتي،
فقد رأت في منامها وهي في السنة الرابعة من عمرها
حشدا من الاطفال الصغار ، جميعهم من آخوتها وأقاربها
بنين وبنات يحبون فوق أرض حقل أخضر ، وفجأة نبتت
لهم أجنحة وطاروا جميعا أمام عينيها الى أن اختفوا في
الجو وهي تنظر اليهم ..

وهو حلم يبدو لأول وهلة ولا علاقة له بالموت ..
ولكن بعد الاستقصاء والتحليل علمت أنها قبل ذلك
الحلم كانت قد سمعت بوفاة طفل من أقاربها ، فسألت
ذويها ماذا يحدث للأطفال الذين يموتون ، فأخبروها أنهم
يتحولون الى ملائكة ذوى أجنحة ويطيرون بعيدا الى
السماء !

وإذا عرفنا هذا ، فمن السهل أن نتصور المضمون
الحقيقي لحلم صغيرتنا الذي يبدو لطيفا بريئا .. لقد
رأت جميع أقاربها وأصدقائها الصغار يتحولون الى ملائكة
ويطيرون كلهم فيفيضون في السماء وتبقى هي وحدها ،
وهذا معادل للقول بأنهم جميعا ماتوا ، ولم يبق على قيد
الحياة سواها ، وهذا الحلم إنما هو تحقيق لرغبة الحاملة
الخفية في أن يموت كل الاطفال في الوسط الذي تعيش

فيه وتنفرد هي بالأعزاز والرعاية
والعادة الجارية الا يشهد الاطفال احتضار الموتى ،
ولذلك لا يعرفون عن الموت سوى انه غياب الشخص ،
وهذا قريب في ذهن الصغار أن يقترون بالراحة من ازعاج
هذا الشخص اذا كان مصدر ازعاج له .. !

واذا فرضنا أن طفلا صغيرا تركت مربيته الخدمة
لسبب من الاسباب وبكى لغيابها ثم يئس من عودتها ..
وبعد عام أو عامين ماتت أمه الحقيقية ، فمن الطبيعي أن
يحس بنوع واحد من الاحساس في الحالتين لان وقعهما
عنده واحد .. !

ونحن نبالغ كثيرا في نسبة الاحساس المرفف للاطفال
بالنسبة للغير ، فمن الملاحظ أن الصغار لا يهتمون كثيرا
لغياب أي فرد .. وهذا ما يثير بعض الامهات اللواتي
يفارقن صغارهن بعض الوقت لاسباب ضرورية ، مثل
زيارة ذوى القربى في بلد بعيد لمدة قد تطول الى أسابيع
كثيرة .. حتى اذا عادت الام ازعجها أن صغارها لم
يسألوا عنها أثناء غيابها مرة واحدة

ومثل هذا الموقف من الصغار حري أن يجعل الطفل
لا يكثر كثيرا اذا رحلت الام رحلتها الابدية وهو صغير ،
وان كان سيذكر ذلك الحادث فيما بعد .. فالموت في نظر
الصغير ليس الا مجرد غياب ، ومن الطبيعي اذا أضمر في
لا شعوره الرغبة في غياب شخص آخر ليتخلص من
مضايقاته أن تتخذ هذه الرغبة صورة الموت .. فرغبة
الموت في الاحلام ليست في حقيقتها سوى الرغبة في
التخلص من شخص

ويبقى بعد ذلك سؤال وجيه : اذا وجدنا تبريرا من
طفولة الشخص لتمنيه وفاة اخوته ، فكيف يمكن أن نفهم
الاحلام التي تدل على رغبته في وفاة والديه أو أحدهما ..

وهو يدين لهما بالحياة ، ولم يعرف منهما الا الحب والرعاية . ومن دواعي انانيته أن يرجو لهما طول البقاء لان راحته وتلبية رغباته ومطامعه مرهونة بوجودهما على قيد الحياة ..

ان الاجابة عن هذا السؤال ستحيلنا حتما الى ملاحظة أخرى . هي ان الحالم يرى غالبا في منامه أن الميت هو الوالد الذي يشاركه جنسه .. بمعنى أن الابن غالبا يرى في الحلم موت أبيه . وأن البنت تحلم بموت أمها ، ولا أزعـم أن هذه القاعدة مطلقة .. ولكن هذا هو الذي يحدث في أغلب الاحيان ، ومرجعه الى ان الطفل في بعض مراحل نموه . يرى في الاب الذي من جنسه غريما له في حب أمه يستفيد من اقصائه الانفراد بعواطفها ، وأن الطفلة كذلك تشعر بالفيرة من أمها في بعض مراحل نموها .. وتود او اخلت لها الام الجو كي تنفرد بعواطف أبيها

وانى لاعلم أن الكثيرين من الاتقياء سينظرون الى هذه الدعوى نظرة انكار واشمئزاز .. ولكن مكارم الاخلاق شيء والواقع الذي تسجله الوقائع العلمية شيء آخر . وان من يلقي باله لاطوار نمو الاطفال وعلاقتهم بوالديهم لحرى أن يجد في تلك العلاقات أكثر من سبب للمداء .. فلو تركنا قدسية الوصايا العشر جانبا وما تفرضه من اكرام الوالدين ، للاحظنا أن الطفل الصغير تخامره رغبات اقوى من تلك الوصية .. فكلما اشتد سلطان الاب في البيت شعر الابن بالضيق والحقد ، وكاد صبره أن ينفد انتظارا للتخلص من تلك السيطرة المرهقة ، وهذا مصدر لعداوة خفية لا شك فيها ، قد يكبتها اللاشعور فترسب في الاعماق انتظارا لغفلة من الرقيب ..

واذا نظرنا الى الفتاة وجدناها أكثر احساسا برقابة أمها وضغطها ، ولا سيما أن الام تحاول أن تؤخر بقدر

الامكان مظاهر نضوج ابنتها حتى لا يكبر بها ذلك في عيون الناس .. وكل هذا يجعل الفتاة تنطوى على الضيق بأمها !

واذا أضفنا الى هذا أن الميول الجنسية ترجع أصولها الى الطفولة الاولى « فسنذكر أن ميل الفتى يكون نحو أمه وأن ميل الفتاة نحو أبيها ..

وقد شهدت بعيني كثيرا من الحالات التي تدل على سرور البنت بغياب أمها ، وهى فى سن وسط بين الطفولة والبلوغ ، ومن ذلك فتاة فى العام الثامن من عمرها ، كانت تنتهز فرصة غياب أمها عن البيت لتجلس فى مقعدها على المائدة ، وتعلن أنها ستقوم بدور الأم .. وتبدأ فى توزيع الطعام والعناية بكل فرد من اخوتها كما تفعل أمها ..

وهناك طفلة أخرى لم تتجاوز الرابعة ، كانت تسفر عن رغباتها بصورة أوضح من هذا كلما غابت أمها عن الدار اذ تقول :

— فى وسع ماما أن تغيب كما تشاء .. سأتزوج أنا بابا !

هذا مع أن تلك الطفلة كانت تحب أمها أشد الحب ! ونلاحظ أنه عندما يسافر الأب فترة من الزمن ، وينام الولد فيها فى الفراش مع أمه ، ثم يعود الأب ويستعيد مكانه فى الفراش ، فمن المحتم أن يضم هذا الولد الرغبة فى أن يظل أبوه غائبا باستمرار كي ينعم هو بالنوم مع أمه بلا انقطاع ، وأسهل تعبير على الغياب المستمر هو الموت . لأن الطفل يعلم أن الموتى هم الذين يغيبون غيبة أبدية لا سبيل الى عودتهم منها .. فالموت هو الضمان الوحيد لاستمرار الغياب ..

ومن الحالات التي مارست تحليلها ، أجزم بأن الابوين

هما أهم الأشخاص في نفسية الطفل الذي يصاب بمرض عصبي بعد بلوغه .. فيكفى جدا أن يكون أحد الأبوين مفرطاً في محبته ، وأن يكون الآخر مفرطاً في قسوته ، كي تتكون في نفسية الطفل اضطرابات شديدة تمهد لظهور المرض العصبي

وما يصدق على المرضى بأمراض عصبية يصدق أيضاً على الأشخاص العاديين ، وكل ما هناك أن الاضطرابات الطفلية تحولت عند فريق منهم إلى مرض ، ولم تتحول عند فريق آخر لأنها لم تكن كافية في شدتها ..

وكل ما يمتاز به المرضى بأمراض عصبية هو تعبيرهم السافر عن الحب الشديد لأحد الأبوين وعن الكره الشديد للآخر .. أما عند الأشخاص العاديين ، فهذا الشعور لا يكون بمثل ذلك الوضوح أو تلك الصراحة



ولا يستطيع أن اختتم الحلم بموت أحد الأحياء من غير أن أعلق على ظهور هذه الرغبة بصورة سافرة في بعض الأحيان . فلا بد لهذا السفر من شروط ، والشرط الأول أن يكون في اعتقادنا الواعي أن هذه الرغبة أبعد ما تكون عن ذهننا . ولذا لم تأخذ الرقابة الشعورية حذرهما الكافي من ظهور هذا خاطر الشنيع . وما أشبه هذا بقوانين «صولون» التي لم تنص على عقاب من يقتل أباه ، لأن المشرع الكبير لم يخطر بباله أن شيئاً كهذا يمكن أن يحدث ، والشرط الثاني أن يشير هذه الرغبة المكبوتة أي نوع من القلق في اليوم السابق على حياة شخص عزيز ، فتتخذ الرغبة المكبوتة من هذا القلق قناعاً تفلت به من عين الرقيب الشعوري !

٣ - الحلم بالامتحان

ومن الاحلام النموذجية ايضا أن يحلم المرء أنه رسب في الامتحان ، ويلاحظ أن هذا الحلم يتراءى لمن اجتازوا ذلك الامتحان نفسه بسلام في الماضي ..

واذكر من تجاربي الشخصية أنني لم أرسب ، وأنا طالب طب ، الا في مادة الطب الشرعى ذات مرة ، ولكنى لم أحلم بعدها اطلاقا بأننى رسبت في تلك المادة بالذات أو أعدت فيها الامتحان .. بل حلمت أنني أعيد الامتحان أو رسبت في امتحان الكيمياء ، أو الحيوان ، أو النبات ، وكلها مواد كنت قد نجحت فيها بدرجة الامتياز .. أو أنى أؤدى امتحانا في مادة التاريخ وهو من المواد التى نجحت فيها فى البكالوريا بتفوق كبير

واعتقادت أن هذه الامتحانات التى يحلم بها الانسان ، ويكون قد نجح فيها بتفوق لا يبرر ذلك الفرع ، انما هي كنايةات عما فى الحياة الجنسية من امتحان لرجولة الشخص ، ومواقف لا يكفى النجاح السابق فيها للاطمئنان على المستقبل

وربما كان الحلم نوعا من اللوم على اتيان الشخص فى طفولته لافعال جنسية يخجل منها ..

الفصل الرابع

عمليات الحاح الأول. • الرمزية في الأعمال



عمليات الحلم

ان كل اهتمام السابقين بالاحلام كان منصرفا على تأويل الاشكال الظاهرة منه .. أما نحن فقد ادى بنا البحث الى وجود مضمون مستتر أو باطن لكل حلم وراء شكله الظاهري ، فكل حلم انما يرمى بمحتواه الباطن الى تحقيق رغبة لا شعورية لدى الحالم ، وان كون هذه الرغبة لا شعورية يجعلها هدفا « للمصادرة » من الرقيب الشعورى « وتهربا من هذه « المصادرة » يلجأ الحلم الى عمليات تنكر بعيدة المدى لاختفاء معالم تلك الرغبة الممنوعة أو المكبوحة ، ومن هنا يأتى التشويه والالتواء والغموض الذى يسود اشكال الاحلام ، ويحدث التفكك الواضح وعدم التناسق بين اجزائه .. فهناك من الاجزاء ما لا حاجة الى الامعان فى اخفاء معالمه ، وهناك اجزاء أخرى يحتاج الامر فيها الى عمليات تنكر مسرفة .. وهكذا ينقطع الانسجام بين اشكال الحلم فى اجزائه المختلفة ونخرج من هذا بأن فى الحلم تيارين أحدهما سطحي والآخر خفى ، والتيار السطحي انما هو تعبير بطريقة « ملفزة » غالبا وملتوية عن التيار الخفى ، ولذلك يجب علينا أن نستخدم الفطنة لنعرف مدلولات تلك « اللغة الهيروغليفية » التى يعبر بها المضمون النفسى للحلم عن أغراضه !

ان هذه اللغة الغامضة نوع من الكتابة بالصور .. لا ينبغى أن نربط صورها بعضها ببعض ، بل يجب أن

نأخذ كل صورة على حدة وننقلها في جزئيتها الى لفظة
الحلم الباطنة ، مع مراعاة أن الصورة مجرد رمز
وسأضرب مثلاً للتوضيح .. فأفرض أن أمامي أحد
تلك الالغاز المصورة ، وهو عبارة عن بيت فوق سطحه
سفينة ثم حرف من حروف الكتابة .. وشخص يجرى
بدون رأس .. وما الى ذلك من المتناقضات التي أراها
خالية من المعنى المعقول جملة وتفصيلاً ، لأنه لا يمكن
اعتبار سطح الدار مكاناً مناسباً للسفن ، واشد أمعانا
في التناقض أن يجرى شخص وهو بغير رأس ، ثم كيف
نعلل وجود حرف واحد في هذا الحلم ؟ .. ان الحروف
لا توجد في المناظر بل على صفحات الاوراق !
ان الطريق الصحيح لقراءة هذا الشكل ، هو ان نحل
طلاسم كل عنصر من عناصره على حدة ، وعندئذ سنجد
من مجموع هذه الاشياء معنى معقولا جدا ..



وأول ما يواجهنا عند بحث العلاقة بين التيار السطحي
والتيار الخفي في الحلم ، أو بين التعبير والمعنى الكامن ،
هو أن التعبير الظاهري مختزل ومفكك ، فلو كتبت ما
أراه في الحلم لما استغرق أكثر من بضع سطور ، ولكن
تعقب الذكريات المتصلة بهذه الصور ، وما فيها من
التأويل ، لابد أن يستغرق بضع صفحات .. ثم لو أتى
تابع التفسير بعد ذلك والتحليل ، لوجدت مزيداً من
الذكريات يشير اليها الحلم من طرف خفي ، وهذا شيء
يقارب في العمليات الكيماوية عملية التكثيف .. فمن
سحابة من البخار نخرج بدلو من الماء

وربما سأل سائل بعد ذلك : هل من حقنا أن نعتبر
جميع الخواطر الكثيرة التي يستخرجها لنا التعليل
كانت فعلاً متمثلة في النشاط النفسي الذي نتج عنه

الحلم ؟ .. وهل لا يكون من المعقول أن تلك الافكار التى استخرجها التحليل انما هى فى جزء كبير منها اضافات أقحمها التحليل على عملية تكوين الحلم ۝

من الطبيعى فى هذه الحالة أن نعتبر كل الذكريات المستترة وراء شكل الحلم ۝ هى فى الواقع سبب وجود ذلك الشكل .. فمن غير هذه الدوافع الباطنة ما كانت النفس لتنشط لخلق الصور التى تراءت لنا فى الحلم .. ومهما يكن من شئ ، فمن المقطوع به أن بنية الحلم جاءت نتيجة لعملية تقطير أو تكثيف معقدة .. فمن واجبنا الآن أن نبحث فى كيفية قيام النفس بهذه العملية ولا توجد وسيلة لتعقب هذه العملية الخفية أفضل من فحص حلم حدثت فيه عمليات التقطير أو التكثيف على مدى واسع ، والحلم الذى سأتناوله الآن رآه أحد مرضاى .. وكان يعالج عندى من حالة خاصة هى الفرع من الاماكن المقفلة

رأى الحالم نفسه راكبا مع مجموعة كبيرة من الاشخاص المجهولين فى شارع « س » ، وفى هذا الشارع وجدوا خانا من النوع السوقى (وهذا يخالف الواقع) وبداخل هذا الخان وجد مسرحية يجرى تمثيلها ، وقام بدور المتفرج بعض الوقت ۝ وبدور الممثل فى احيان أخرى ، وكان على الموجودين بعد الفراغ من التمثيل أن يبدلوا ثيابهم لينطلقوا الى المدينة .. فنزل بعضهم فى الطبقة الارضية ، ونزل الآخرون فى الطبقة التى تعلوها ، ثم تنازع الفريقان .. فأهل فوق ساخطون لان أهل تحت يتلكأون ويعطلونهم ۝ وكان شقيق الحالم فى الطبقة العليا ، أما الحالم نفسه فكان فى الطبقة السفلى ۝ وأغضبه من أخيه أنه ومن معه يستعجلونهم بصورة مزعجة ، وأحس الحالم أن تقسيم المجموعة الى فوق وتحت مسألة مفروغ منها

منذ بداية الحلم ، وينطلق الحالم بعد ذلك بمفرده صاعدا شارع « س » المرتفع متجها الى المدينة ، فيجد مشقة كبيرة في ذلك الصعود .. حتى انه في بعض الاحيان لايقدر على الحركة من موضعه ! وعندئذ يتقدم منه رجل مسن ! ويذكر ملك ايطاليا بسوء .. وبمجرد وصول الحالم الى قمة الشارع الصاعد يشعر ان السير صار سهلا للغاية ، وكان شعوره بصعوبة الحركة وهو صاعد جادا الى درجة انه بعد اليقظة كان يظن ان ما حدث امر حقيقى وليس مجرد حلم

وابادر فأقول ان صعوبة الصعود مع اللهث ظاهرة مرضية عانى منها قبل سنوات ! حتى لقد اعتقد الاطباء انه مصاب بالسسل .. ثم اتضح انه يعانى من علة عصبية هستيرية تجعله يقلد المصابين بذلك المرض

وأما كونه يحاول الصعود فلا يستطيع ! فهذا نوع من العجز يصور به الحلم الخزى .. وهو شيء رأيناه بوضوح فى أحلام العرى الاستعراضية

والغريب أننى حينما كنت أصفى لرواية الحلم ، وسمعتة يذكر صعوبة الصعود فى البداية ثم سهولته عندما وصل الى القمة ، تذكرت على الفور مطلع رواية سافو للكاتب الفرنسى « الفونس دوديه » ! حين كان البطل يصعد السلالم الى مسكنه حاملا على ذراعيه صيده العابر ، معشوقته سافو .. فكانت خفيفة الحمل جدا فى البداية ! ثم أخذت تثقل عليه شيئا فشيئا حتى انبهرت أنفاسه قرب القمة !

وما من شك فى أن المؤلف الفرنسى الشهير أراد بهذا المشهد أن يرمز الى مصير كل علاقة جسدية ! مهما بلغت درجة افتتان العاشقين أحدهما بالآخر ..

ومن معرفتى بأحوال الحالم ! كنت على علم بعلاقة له

مع احدى المشتغلات بالمرح فيما مضى ثم قطع ما بينه وبينها ، وليس من النادر أن تعمسد الاحلام الى قلب الحقائق على سبيل التشويه أو الغموض ، فعلاقة سافو بدأت هينة ثم انتهت الى المشقة

ولما صارحت مريضى بما خطر على بالى من تلك المضاهاة ، قال لى :

— بل اننى رأيت فى المساء السابق تمثيلية اقرب الى حلمى من رواية سافو ، وبطلة المسرحية فتاة من بنات الاسر تنكبت الطريق بعد ذلك واتصلت ببعض الوجهاء الى أن بلغت ذروة الشهرة .. ولكنها دفعت الثمن فهوت سريعا

ولكن ما صلة شارع « س » بالحالم ؟ ..

ان المثلة التى كان على صلة بها تقطن شارع «س» ، وهذا الشارع ليس فيه خانات ، فمن أين أتت علاقة الخان بذلك الشارع ؟

ان ذلك الشارع يشير الى عشيقته السابقة .. وكان قد اقام فى فيينا فترة من الزمن ليكون قريبا منها ، واضطر فى تلك الفترة الى النزول فى فندق حقير لقرب موضعه من الشارع الذى تسكنه ، ولما غادره ليسافر قال لسائق العربة :

— أحمد الله أنى سلمت من حشرات هذا الفندق ..

فأظهر الخوذى عجباً من نزول سيد مثله بهذا المكان الحقير ، وعبر عن ذلك بقوله انه ليس فى الواقع سوى خان لا ينزل به السادة ..

وأما هجر صاحبه له ، فهو مرتبط فى نفسه من غير شك بهجر آخر حدث فى الطفولة ، هو انقطاع صلته بمربيته أو حاضنته ، وأما مجموعة الرفاق الغرباء ، فمعناها الرمزى دائما هو الاستتار أو التخفى واخفاء

العلاقة السرية أو العمل المخجل عن عيون الناس
وليس في هذه المجموعة من الغرباء من يعرفه الحالم
سوى شقيقه الأكبر الذي نزل في الطبقة العليا من الخان ،
ونزل هو في الطبقة السفلى .. وهذا أيضا قلبه للواقع ،
لان هذا الاخ هو الذي هبطت به ظروف الحياة عن
مستواه وفقد ثروته ومكانته .. فكان قلب الحقيقة سياسة
عامة في ذلك الحلم

ان قلب الاوضاع بالنسبة للاخ الذي آلمه سقوطه عن
مكانته يتفق مع قلب الاوضاع بالنسبة لصلته بخيلته
التي آلمه هجرها .. فاذا به يرى صاعدا في شارع «س»
الذي يرمز الى شخصها بمشقة وخزي في البداية ، ثم
بخفة وانطلاق في النهاية .. وذلك بعكس ما حدث له
ولعشيق سافو في الرواية المشهورة

وما من شك في أن لهذه التعبيرات ذات المغزى الجنسي
صلة بحالة المريض العصبية والجنسية ، وما من شك
كذلك في أن الاخ الأكبر قد يرمز الى جانب حقيقته
الواقعية الى جميع من هم أكبر منه وأقوى ، فنافسوه
في حب عشيقته وانتهوا باقصائه عنها ..

وأما ذلك الشخص الذي قابله وجعل يذكر ملك
إيطاليا بالسوء .. فالغالب انه رمز لمن يطلقون السنتهم
في أعراض الناس مهما كانت مكانتهم عزيزة

وأريد الآن أن أذكر حلما آخر رآته سيدة مسنة كنت
أعالجها ، وفي أحلامها عمليات تكثيف وتقطير عنيفة .. لان
حالتها كانت تتضمن اضطرابات جنسية شديدة مكبوتة ،
كشفت لها عنها بالتحليل قبل ذلك الحلم ، وأثار هذا
الكشف استنكارها وخوفها الى درجة كبيرة ..

حلمت هذه السيدة المسنة أنها تذكرت فجأة اثنتين من الخنافس ، كانت قد حبستهما داخل صندوق .. وفتحت الصندوق فوجدتهما في حالة ضعف ، وطارت أحدهما بعد ذلك من النافذة ، فأسرعت الحاملة بإغلاقها فحطمت الخنفساء الأخرى بالمصراع ، وكان إغلاقها للنافذة بناء على طلب أو أمر تلقته من مجهول وقد أثار ذلك تقززها ..

وأول ما يتبادر الى الذهن هو ما حدث في اليوم السابق مباشرة ، فقد كان زوج هذه السيدة مسافرا فصارت بنتها المراهقة تنام معها في فراشها ، وقد نبهتها قبل النوم أن حشرة سقطت في وعاء الماء ، ولكنها لم تكثرث لاتخاذها .. وتذكرت أيضا أنها قرأت بعد الظهر في الصحيفة اليومية عن تعذيب بعض الصبية لقطة ألقوا بها في ماء ساخن الى درجة الغليان

وليس هذان الامران على شيء من القيمة بالنسبة للحلم ... ولكنهما أثارا في نفسها موضوعا واحدا هو شعور القسوة بالنسبة للحيوانات والحشرات

ومما يرتبط بهذا الموضوع من ذكرياتها البعيدة أن ابنة السيدة ، عندما كانت طفلة ، كانت تقسو على الحشرات والحيوانات الصغيرة ولا سيما على الفراشات التي تصيدها وعلى يرقات دود القز .. بل حدث ذات مرة أنها انتزعت أجنحة بعض الخنافس

كل هذا حدث من البنت وهي صغيرة جدا ، فلما شبت قليلا صارت نموذجا لركة القلب وهو أمر كان يثير عجب الام لما فيه من تناقض واضح

وفي السسنة التي كانت بنتها تجمع فيها الفراش والخنافس ، كانت القسوة على الخنافس بوجه خاص

أمرا شائعا بين الجميع لانتشار وباء خطير تنقله تلك الحشرة

وفي الليلة التي رأت فيها السيدة هذا الحلم كانت ترتب أوراقها القديمة ، وكلما وجدت شيئا طريفا كانت تتلوه على الأسرة ، ومن بين هذه الرسائل خطاب غرام وصلها من معلم البيانو وهي صغيرة ، ورسالة غرام أخرى من متيم بها ينتمى الى الطبقة الراقية

وهنا تبرز صلة عجيبة بين الخنفساء التي قست عليها وبين العشق الشديد الذي انطوت عليه رسائلها القديمة .. ففي إحدى مسرحيات كليست :

— ان حبك لها شبيه بهيام الخنفساء !
وهذا كناية في اللغة الالمانية عن الافتتان الشديد والشفف المتلف

وأعرف من حالة تلك المريضة أنها شديدة القلق على زوجها حين يكون مسافرا ، وتنتابها من ذلك تخیلات وأوهام أثناء يقظتها في النهار ، وفي الوقت نفسه أعرف من تحابل حالتها أنها تضرر الشكوى والتذمر للضعف الذي أصيب به زوجها بعد أن علت به السن .. ومن هذا القبيل أنها رأت أثناء النهار ، وهي تقوم بأعمال المنزل ، شبعا وهميا كزوجها ، وجاء على لسانها موجهة الخطاب الى خيال زوجها قولها :

— اشنق نفسك !

ولما تعقبتها بالاسئلة عن ذكريات الشنق لديها اعترفت انها قرأت قبل ذلك بوقت قصير ان المشنوق يحدث لديه انتصاب شديد !

ومن حيل الرغبات اللاشعورية أن تتحرى في تخفيها وتنكرها أبعد الاشكال عن فحواها .. فالرغبة المخجلة في انتصاب زوجها رحبت بهذا القناع البعيد عن الدهن،

وهو قناع الانتحار شنقا .. فكأنها تريد أن تقسول
لزوجها العجوز الغائب :

— احرص على أن تصل الى تلك الحالة بأى ثمن !
وأما فتح النوافذ واغلاقها ، فمردها فى الحلم الى
الخلاف بينها وبين زوجها .. فهى تحب النوم فى هواء
متجدد ، وزوجها حريص على اغلاق النوافذ ويطلب
اليها ذلك دائما .. فكأنما طلبه تذكرة بوجوده فى حياتها
وتنفيذ طلبه ، أى ان الارتباط بزوجها ، أدى الى سحق
الخنفساء أى عواطفها التى كانت تريد أن تنطلق بحرية



والى جانب عملية التكثيف توجد عمليات أخرى هى
عمليات الأبدال .. ففى الحلم الذى يشبه افتتاحية
رواية سافو، كان الشكل الظاهرى للحلم عبارة عن عمليات
صعود وهبوط ووجود الناس فى طبقتين : عليا ، وسفلى،
ولكن المضمون الخفى للحلم هو تخوف الحالم من الارتباط
بأشخاص ذوى أقدار وضيعة ارتباطا جنسيا ..

وإذا نظرنا فى حلم السيدة بالخنفساوين ، وجدنا
الموضوع الاصلى أو الخفى للحلم هو العلاقة بين الحياة
الجنسية والقسوة البدنية ، ولكن الحلم يتخفى فيحذف
المسألة الجنسية حذفاً تاماً ، ويستبدل بها الطرف الآخر
فى العلاقة وهو القسوة البدنية .. وهذا الأبدال من
شأنه أن يبعد الذهن عن المضمون السرى للحلم ..

وهذا الأبدال من شأنه أيضاً أن يجعل مهمة التفسير
عسيرة ، فان الأشياء التى يشتد اهتمام النفس بها هى
أكثر الأشياء تعرضاً للأبدال ، ومن هنا يأتى توهم البعض
أن ما يتكرر فى الحلم هو المهم ، مع أن الواضح المتكرر فى
الحلم هو أبعد الأشياء عن الاهتمام الخفى للنفس

ومن الوسائل التي يلجأ بها الحلم الى الربط بين الاشياء ، وسيلة بسيطة هي حدوث الشئئين في زمن واحد في الحلم ، دلالة على أن هناك علاقة منطقية بينهما ، وذلك شبيه بعمل المصور الذي يجمع على المائدة في صورة واحدة فلاسفة بينهم فروق زمنية تصل الى عدة قرون . . فهو لا يعنى بذلك أن « ارسطو » كان يعيش في زمن « كانت » أو يمكن أن يجتمع معه في مكان واحد . . بل ما يعنيه أن بينهما صلة عقلية ، ولكنه لا يستطيع التعبير عن الصلة العقلية بالرسم ، فيستخدم لذلك الصلة الزمانية المكانية

وأما علاقة السببية ، فالحلم يتبع في بيانها المنهج الذي يمثله النموذج التالي :

رأت مريضتي أنها دخلت المطبخ فوجدت خادمتيها في حالة كسل ووبختهما لأنهما لم تجهزا لها ما تأكله ، وتلمح في تلك الاثناء اكواما من الأنية المفسولة يقطر منها الماء ، وتذهب الخادمتان لاحضار شيء من الماء فاذا بنهر طام يصل فيضانه الى مستوى المنزل فتخوضان فيه . .

وتصحو الحاملة ثم تنام لترى حلما يبدو منفصلا عن الحلم السابق ، ولكنه في الحقيقة مرتبط به . . ترى أنها تنزل من قمة ربوة عالية ، وتجتاز عقبات معقدة ، وتشعر بالفرح لأنها استطاعت النزول من غير أن يتعلق ثوبها بشيء يعوقها

وأول هذين الحلمين بمثابة تمهيد للحلم الآخر . . والمنزل الذي رآته هو منزل أبويها ، وأما نوم الخادمتين فشيء ألفت أن تسمع أمها تفعله . . وأما اكوام الأنيسة فمستعارة من محل لبيع الادوات المنزلية يقع تحت ذلك البيت مباشرة ، وأما النهر الذي تخوضه الخادمتان ، وقد فاض حتى بدأ يفرق البيت ، فكناية عن والد الحاملة

الذى كان مشهورا بتعلقه بالخدمات ، وظل حاله كذلك الى ان أصيب بمرض فى موسم فيضان النهر قضى على حياته والمنزل يقع على شاطئ النهر فعلا ومغزى هذا الحلم رقم (١) عبارة عن جملة مترابطة بمثابة المقدمة من قضية لها سبب ونتيجة ، وهذه العبارة هى :

— اننى ولدت ونشأت فى هذا البيت الذى تضيق فيه الأم بحياتها ، وتتضرع من اهمال شأنها بسبب الخدمات اللواتى يخادنهن ويتصل بهن الوالد اتصالا فاضحا الى ان مات .. والحالة الاقتصادية فيه والاجتماعية مخجلة حتى ان بأسفله متجر الأدوات المنزلية الرخيصة ..

أما الحلم الثانى فهو النتيجة لتلك المقدمة .. وفيه تحقيق لامنية الحاملة ، فهى تنحدر من أصل عال ، ولكن العقبات التى تقيمها ظروفها المنزلية فى وجهها لم تتمكن من أصابتها بأذى ..



وأما علاقة التناقض أو التناقض التى يقول العقل انها مستحيلة فشيء لا يعترف به الحلم .. انه لا يعرف شيئا اسمه المستحيل ، بل ان من المؤلف فى الأحلام أن يأتى الشيء فى صورة ضده أو نقيضه بقصد التمويه على الرقيب الشعورى ، حتى ان الانسان يحار فى البداية فى فهم الحلم ، وهل يقصد به الشيء أو ضده .. ومن العجيب أن اللغات العريقة فيها كثير من الكلمات التى تدل على الشيء وضده ، فكانها حيلة قديمة يفتتن بها العقل الانسانى !

وأجد من المناسب أن أعود الى الحلم السابق الذى كانت

فيه الفتاة تهبط الربوة العالية وتجتاز الحوائل المعقدة ■
فقد كانت في ذلك الحلم تحمل فرعاً من فروع الاشجار
مزهراً بالزنايق البيضاء .. وهذا رمز لنقاء الذيل
والبكارية العذرية ■ ولكنها لاحظت بين هذه الازهار
البيضاء ازهاراً حمراء ، ولاحظت أن جميع الازهار حين
انتهت من هبوط التل ذبلت وتساقطت !

ان تأويل هذا الرمز أن الفتاة فرحة لاستطاعتها ، رغم
النشأة السيئة في بيت أسرتها ■ أن تمضي في طريق الحياة
طاهرة الذيل محافظة على بكارتها ■ هذه الطهارة التي
تخللتها زهور حمراء ترمز الى الحيض والبلوغ ■ واما
الذبول فيدل على أن هذا السرور بالطهارة يقتصر في الوقت
نفسه برغبة خفية في الحرية الجنسية

فالحلم قد عبر عن النقيضين في وقت واحد ، اشارة
الى أن النفس لا يمتنع أن يوجد فيها النقيضان ..



ومن الوسائل التي يعتمد اليها الحلم أيضا ادماج عدة
شخصيات في شخصية واحدة لصفات مشتركة بين هذه
الشخصيات ■ حينما يريد الاشارة الى وجه التشابه
في الصفات لا الى الاشخاص انفسهم .. فيظهر في الصورة
أحد هؤلاء الاشخاص دون الآخرين ، وتتمثل في هذا
الشخص الظاهر جميع صفات الاشخاص الذين يمثلهم
وأحيانا نجد في هذا الشخص الذي يمثل نفسه
بالآخرين مجموعة منتقاة من ملامح الجميع ، فله أنف
هذا ، ولحية ذاك ■ وهكذا ..

ومن الجائز أيضا أن يحمل الشخص المائل في الحلم
اسم أو وظيفة شخص آخر يمثل في الوقت نفسه، فنذكر

أن المفروض وجوده هو الشخص الغائب
وفي بعض الأحيان أيضا يمثل الشخص الحاضر شخصا
غائبا عن طريق انتحال حركاته فقط ، أو طريقته في
الكلام ، أو عباراته المأثورة عنه
والقدرة على المزج بين الاشكال والاشخاص قدرة غير
محدودة . . . وهي صفة من صفات الخيال التي نجدها عند
الأطفال . . . وقد تتمثل في الاساطير . . . فهي من قبيل تصور
حصان له أجنحة وما الى ذلك . . .



الرمزية في الاحلام

للاحلام رموز خاصة تستخدمها للتعبير عن الموضوعات المخجلة والممنوعة « والجنس وما يتصل به من أهم هذه الموضوعات طبعاً ، وطريقة الرمز مألوفة في حياتنا العادية حين نتحدث بالكناية عن الامور الجنسية ..

وان انتظام هذه اللغة الرمزية في الاحلام للدلالة على الموضوعات الجنسية يدخل في روع المرء ان ذلك يجرى على حسب « شفرة » خاصة شبيهة بلغة الاختزال

والواقع ان طريقة الرمز ليست اسلوباً خاصاً بالاحلام وانما هي طريقة عامة في كل ما يتعلق بالاشعور .. فكم في الاناشيد الشعبية والاساطير والكلمات الماثورة والنوادر الدارجة على الالسن من رموز وكنائيات تفوق ما يوجد في الاحلام

والمألوف ان يكون هناك داغ لاستخدام الرمز المعين « وهو وجه شبه او عنصر مشترك بين الرمز وما يدل عليه ..

والداعي الى استخدام الرموز في الاحلام واضح ، الا وهو التعبير عن المقاصد الخفية والمعاني الاصلية تعبيراً مستترا ينطلي على الرقيب الشعوري ، ومتى نجح رمز معين في اخفاء معالم معنى معين ، فان الحلم يستأثر بهذا الرمز ويستخدمه دائماً .. ولكن هذا الرمز لا يحتكر التعبير عن هذا المعنى ، فمن الممكن ان يستخدم الحلم رمزا

آخر ، فهناك نوع من المرونة في لغات الاحلام الرمزية ،
وهذه المرونة ترتبط الى حد كبير بمزاج الحالم وبقية
ظروف الحلم ..

وفي احيان كثيرة يدل الرمز الواحد في الحلم على اكثر
من معنى ، مثلما تدل الكلمة الواحدة في اللغة احيانا
على اكثر من معنى .. ويكون المعول في فهم المعنى المقصود
في الحالتين على سياق الحلم في جملته ..
وابدا ببيان بعض الرموز الشائعة :

- ١ - الملك والملكة = والدا الحالم أو الحاملة
- ٢ - الامير أو الاميرة = الحالم أو الحاملة
(ويمكن أن يحل محل الملك والملكة أى شخص عظيم
المقام في نظر الحالم)
- ٣ - الاشياء المستطيلة عموما
- ٤ - العصي والافصان
- ٥ - الاسلحة الحادة كالخناجر
- ٦ - المعول ومبرد الاظافر
- ٧ - العلب والصناديق والادراج
- ٨ - الخوانات والمدافئ
- ٩ - السفن وكل ما هو مجوف
- ١٠ - الحجرات ذات الابواب
- = الرحم عند المرأة
- ١١ - المفتاح والقفل = جهازا الرجل والمرأة
- ١٢ - المرور في سلسلة من الغرف المتداخلة
- = الزواج أو احيانا منزلا للدعارة
- ١٣ - السلالم والربى = الفعل الجنسي

- ١٤ - الجدران الملساء التي ينزلق عليها الحالم وهو مرتفع ، أو يتسلقها ولا يجد بها نتوءات = العلاقة الطفلية بالوالدين أو الحاضنة
- ١٥ - المائدة أو الخوان أو الفراش = الزواج
- ١٦ - موضوعات الغذاء = موضوعات الجنس أحيانا
- ١٧ - قبعة المرأة = آلة الرجل
- ١٨ - رباط العنق = آلة الرجل
- ١٩ - المعطف = آلة الرجل
- ٢٠ - المحاريث والبنادق والمسدسات = آلة الرجل
- ٢١ - جبال تعلوها الاشجار = أعضاء جنسية
- ٢٢ - الأطفال الصغار = الاعضاء الجنسية أحيانا
- ٢٣ - ملاعبة الأطفال = العبث بالاعضاء الجنسية
- ٢٤ - قص الشعر وسقوط الاسنان = الخصاء
- ٢٥ - الثعبان = آلة الرجل
- ٢٦ - المنطاد والطائرة = آلة الرجل
- ٢٧ - الطريق اليمنى = سواء السبيل
- ٢٨ - الطريق اليسرى = طريق الضلالة والجريمة
- ٢٩ - الطريق اليسرى = علاقة شاذة بنفس جنس الحالم
- ٣٠ - الطريق اليمنى = علاقة جنسية طبيعية
- ٣١ - عدم اللحاق بعربة أو قطار = فارق في السن لا يمكن اغفاله
- ٣٢ - حقائب محمولة = خطايا تثخن الضمير أو عضو المسافر الجنسي

ومعظم الرموز السابقة مستقاة من دراسة نشرها « شتيكل » ومعظمها نوافق عليه .. ولكننا ننبه الى أن الاحلام قد تستعمل رموزا عكسية للدلالة على أعضاء

التناسل ، وتستخدم أحيانا الرموز الذكرية لاجهزة
الاناث أو العكس .. وغالبا ما يدل هذا على رغبة الحالم
أو الحاملة في أن يكون من الجنس الآخر ، وليس من النادر
أن تتمنى المرأة لو أنها كانت رجلا .. !

والأحظ أيضا أن الحلم قد يصور الأعضاء الجنسية
مستعينا بأعضاء أخرى من الجسم ، فيرمز لالة الذكر بيد
أو رجل ، ويرمز لالة المرأة بفتحة الفم أو الاذن أو العين ،
وقد نشرت في محاضراتي التمهيدية عن التحليل النفسى
مزيدا من التفاصيل الخاصة برمز لغة الأحلام ..

وأريد الآن أن أضرب بضعة أمثلة عن كيفية استعمال
هذه الرموز فى الأحلام ، بحيث يكون الجهل بها حائلا دون
تأويل الحلم ، مما يلزمنا بالاعتراف بأن لغة الحلم رمزية

١ - رمز القبعة

وهو حلم .. أو بمعنى أدق جزء من حلم سيدة شابة
ينتابها زعر من الأماكن غير المألوفة أو المحدودة نتيجة خوف
من الفوابة والفتنة :

— حلمت أنى أمشى فى شارع ، والوقت صيف ،
مرتدية قبعة من القش غريبة الشكل ، فهى مائلة الى أعلى
من الوسط وجانباها متهدلان الى أسفل بحيث كان أحد
الجانبيين أكثر تهديلا من الآخر ، وكنت منشرحة الصدر ،
وأنا أمشى هكذا معتدة بنفسى ، وصادفت فى طريقى حفنة
من الضباط الشبان ، فقلت لنفسى وكأنى أخاطبهم :
— لا يستطيع أحدكم أن يمسنى بسوء ..

وحاولت أن أعرف من الحاملة رأيها فى القبعة ، وبماذا
تقترون فى ذهنها فلم أجدها أدنى فكرة عنها فقلت
لها :

— اعلمى اذن أن القبعة لا ترمز فى الأحلام الى شيء

على الاطلاق سوى عضو الرجل الجنسى .. وأنت قد
حلمت بالقبة وجزؤها الاوسط متجه الى أعلى وجانباها
متهدلان .. !

ولم اتعجل التعرض لكون القبة التى حلمت بها كان
أحد جانبيها أكثر تدليا وتهدلا من الجانب الآخر ..
وتركت ذلك الى فرصة مناسبة واستطردت :

- انك فى الحلم تتباهين بأن لك زوجا ذا أداة جنسية
موضع الاعجاب ، تتحدين بها مجموعة الضباط المغازلين
المغوين للنساء والفتيات ، ومؤكدة لهم أنه لا حاجة بك
الى ما لديهم ، وأنه لا سبيل لهم اليك .. لان زوجك الآن
قادر على حمايتك من كل هؤلاء حين تخرجين معه فلا
يجسر انسان على التعرض لك بسوء

والعجيب أن مريضتى صمتت بعد هذا التفسير طويلا،
ثم سألتنى فجأة :

- هل جميع الرجال هكذا ، أم أن زوجى وحده هو
الذى ينفرد بأن احدى خصيتيه أكبر وأكثر تدليا من
الخصية الاخرى ؟ !
فكان هذا السؤال أقوى اعتراف بمطابقة رمز القبة
فى الحلم ..

٢ - السقوط تحت العربة

وسأروى الآن حلما آخر لهذه المريضة نفسها ، يرمز
فيه الطفل الصغير الى العضو الجنسى ، ويرمز فيه
السقوط تحت العربة للعملية الجنسية :

- أخرجت أمى ابنتى الصغيرة من البيت ، فاضطرت
أن أرحل وحدى بعد ذلك ، وركبت مع أمى قطارا ورأيت
من نافذته ابنتى الصغيرة تمشى على قضبان القطار
بحيث يتحتم وقوعها تحت العجلات .. وأسمع القطار

وهو يسحق عظامها ، فأشعر بعدم ارتياح ، ولكنه لا يصل الى حد الفزع أو الفجيرة .. وأجبل نظري من نافذة عربة القطار لأعرف هل من الممكن رؤية الاجزاء من الخلف ، ثم ألوم أمي لأنها أخرجت ابنتي الصغيرة من البيت وحدها ..

وأبدأ بالقول أن هذا الحلم ضمن سلسلة من الاحلام الطويلة ، لا يمكن فهمه تماما من دونها .. ولكني أستطيع أن أقول عن رحلة القطار أنها مستمدة من رحلتها حين أخرجت من مصحة للأمراض العصبية ، كانت قد افتتنت بالطبيب المعالج فيها ، وقد ذهبت أمها بنفسها الى المصحة لتأتي بها في القطار ، وجاء الطبيب المعالج الذي تعلقت به المريضة الى المحطة ليودعها ، وقدم لها باقة من الورد فتضايقت لان أمها كانت موجودة في لحظة الوداع العزيزة وهذا هو السبب في أن أمها تبدو في الحلم في صورة العدو الذي يعرقل محاولاتها الغرامية ويؤدي الى تضييع فرص لذتها ..

واذا رجعنا الى تاريخ مريضتي ، وجدنا أن أمها المتزمتة كانت دائما تقوم في طفولة الفتاة بهذا الدور الثقيل ..

وأما النظر من النافذة لترى هل يمكن رؤية الاجزاء من الخلف ، فان الذهن قد ينصرف الى أن المراد كما في ظاهر الحلم هو رؤية حطام فتاتها الصغيرة التي دهمها القطار ، ولكن الفتاة في الحلم ليست سوى رمز ، وكى نفهم الحقيقة يجب أن نعود الى طفولة المريضة الاولى .. حين رأت وهي صغيرة جدا أباه عاريا تماما في الحمام ذات مرة ، وكان ظهره الى ناحيتها ..

وتحدثني مريضتي عن أنها كانت تعتقد دائما أن أعضاء

الرجل الجنسية بحكم تدليها يمكن أن تشاهد من الخلف . .
أما المرأة فلا . .

وهذا الاعتقاد نفسه يحتم أن الفتاة الصغيرة في الحلم ليست طفلة وإنما هي أعضاء التناسل . . ومعنى كلامها عنها بقولها «صغيرتى» أنها تقصد أعضائها هي الجنسية . فكأنها في الحلم تريد أن تلوم أمها برمز اخراج الفتاة من البيت وحرمانها منها لأن الأم أرادت منها أن تعيش وكأنها بغير أعضاء جنسية ، ومعنى أنها تمضي بعد ذلك وحدها مضطرة أنها تعيش بلا رجل يعاشرها ويكون لها قرينا وصاحباً . .

وأما السقوط تحت العربة ، أو القطار ، فرمز الى العملية الجنسية وما تقترب به من تحطيم شعرت منه لأول وهلة بعدم ارتياح لم يبلغ حد الفرع أو الفجيرة ، وهذا رمز أيضا الى رغبتها اللاشعورية في ممارسة الحياة الجنسية ، رغم ما تقترب به لأول وهلة من آلام أو عدم ارتياح . . وهذا هو جانب تحقيق الرغبة في الحلم . .

٣ - رمز الابنية والسلالم الكهوف

ومن رموز أعضاء التناسل الابنية والدرجات الصاعدة أو الهابطة والكهوف المظلمة . . وسأروى الآن حلم شاب من مرضاي كان علاجه عسيرا ، فهو ذكي يساير العلاج . . ويسهم في تفسير أحلامه ببراعة ، ثم ينطوي على نفسه بعد ذلك فلا يستطيع المعالج أن يسبر غوره :
- رأيتني أتنزه مع والدي في موضع أعتقد أنه حديقة « براتر » لاني رأيت فيه الروتوندا . . وأمامه مبنى صغير مشدود اليه منطاد ، ولكن المنطاد كان في الحلم غير قائم تماما ، ويسألني أبي عن سبب كل هذه الأشياء فأعجب لسؤاله ولكني أوضح له الأمور ، وتمضي بعد ذلك الى

رحبة فوق أرضها مسطح من الصفيح يريد أبى أن يقطع جزءا منه ، ولكنه يتلفت حوله كالمتلصص قبل أن يقدم على ما يريد ، فأقول له :

— قل للحارس رغبتك .. وبعد ذلك لك أن تأخذ ما شئت وانت مطمئن ، ومن هذه الرحبة سلم ينتهى الى كهف فى باطن الأرض ، وجدران هذا الكهف أشبه بالارائك الجلدية المنضددة ، وفى نهاية الكهف سرداب طويل ينتهى الى كهف آخر ..
والريض نفسه لم يعجز عن تفسير هذا الحلم كما يجب ..

— أنى أعرف جيدا أن بناء الروتوندا هو أعضائى الجنسية ، وأن المنطاد المربوط اليها هو القضيب الذى أشكو مما به من ارتخاء ..

ونزيد نحن الامر وضوحا ، فنقول أن الروتوندا هى بمعنى أدق العجيزة ، ويدخلها الطفل عادة ضمن الاعضاء الجنسية .. والبناء الصغير الذى أمامه هو كيس الخصيتين ، والمنطاد هو القضيب فعلا ، وأما سؤال أبيه عن معنى هذا كله وجدواه ، فهو وضع مقلوب فى الحلم على طريقة الإبدال التى تحدثنا عنها آنفا ..
والصحيح أنه هو الذى يسأل أباه ، ولما سألته فى ذلك ، عرفت أنه لم يوجه الى والده سؤالا كهذا فى أى يوم ..
فيكون ورود هذا الجزء من الحلم تعبيرا عن رغبة أضمرها الحالم فى الاستفسار من أبيه

وأما الرحبة التى على أرضها لوح من الصفيح ، فليست رمزا لأنها جزء مستمد فعلا من مهنة والد الحالم ، وكان قد عمل فيها منذ مدة ، ولما كان فتى مثاليا من ناحية الامانة فى العمل والتجارة فقد أثاره ما اكتشفه فى مؤسسة أبيه من تصرفات غير مشروعة ..

فلو وضعنا هذه النقطة في موضعها المتمم للجملة السابقة لكانت :

— أخشى اننى اذا سألت أبى أن يوضح لى هذه الامور الجنسية بصراحة أن يخدعنى كما يخدع الناس في مزاولة مهنته ..

وأما رغبة الاب في أخذ جزء من لوح الصفيح خلسة ، فهو أيضا نوع من الابدال حل فيه الاب محل الابن ، وهو رمز للعادة السرية . وتعليق الحالم بأن من الممكن عدم التخلي ، معادل للرغبة في صلات جنسية سافرة

ويزيد الامر وضوحا أن رمز الكهوف والدرج المفضى اليها يعنى الزواج ، فصعود سلالم أو هبوطها معادل في الحلم للاتصال الجنسي ، وأما الكهف المنضدد الجدران الوثير اللين ، فهو الجهاز الجنسي عند المرأة

وقد تولى الحالم نفسه تفسير الدهليز المفضى الى كهف آخر بأنه في وقت مضى كان قد اتصل بالنساء ، ثم امتنع عن ذلك نتيجة ضعفه الجنسي المشار اليه في الحلم ، وهو يرجو أن يبرأ من هذه العملية فيعاود هذا النوع من الاتصال

٤ — رمز المناظر الطبيعية

وهذا حلم لامرأة من العامة زوجها شرطى .. والمنظر الطبيعي في الحلم ، خصوصا الربى التى تكسوها الاعشاب والنباتات ، معادل للجهاز الجنسي عند المرأة :

— هجم بعضهم على المسكن ، ففزعت وأخذت تصرخ مستغيثة بالشرطة .. ولكن الشرطى يدخل بهدوء كنيسة صغيرة تفضى اليها بضع درجات ، وكان معه اثنان من المتشردين ، وخلف الكنيسة ربوة تعلوها غابة لفاء ، وكان الشرطى يرتدى خوذة وله لحية داكنة ، وأما

المتشردان فحول خاصرة كل منهما كيس ، وكان هناك طريق يؤدي من الكنيسة الى قمة الربوة ، وهذا الطريق محفوف بالنباتات التي أخذت في الكثافة الى أن صارت فوق قمة الربوة غابة لفاء

وسأشير هنا الى الرموز الجنسية ، فالسلم يعنى العمل الجنسي ، والرجال رمز للجهاز الجنسي عند الرجل ، والشرطي يمثل القضيب وله خوذة مدببة ، ولحيته السوداء هي الشعر المحيط به ، والمتشردان اللذان لا يؤديان عملا في الظاهر هما الخصيتان ، والفرارة حول خصريهما هي كيس الخصية ، وأما الربوة التي فوقها الغابة فهي الجهاز الجنسي عند المرأة

٥ - رمز الرأس المقطوع

وهذا الرمز يعنى الخصاص .. وهذا حلم رآه طفل في منتصف العام الرابع من عمره كان أبوه غائبا عن الدار منذ مدة فنعم بصحبة أمه واستثارته بعنايتها ، وكان لا يستريح فيما يبدو لعودة أبيه ، فحلم أن أباه يحمل رأسه في طبق وأستيقظ منغورا ..

فهذا الحلم تحقيق رغبة من جانب الطفل ضد أبيه ..

٦ - رمز السلالم

والحلم الذي أستطيع أن أورده عن السلالم وما ترمز اليه من الاتصال الجنسي هو حلم أحد المرضى .. وكان ينفر من الجنس مشمئزاً ، بسبب مرض عصبي كان يثبت كل تخيلاته الجنسية على والدته ، وكثيرا ما كان يحلم بأنه يصعد السلالم معها ، وكنت قد نصحتة بنوع معين من العلاج ، فحلم بأن معلم الموسيقى يوبخه على عدم اتقان السلم الموسيقى ..

وواضح أن السلم الموسيقى إنما هو نوع من السلالم
التي ترمز إلى الاتصال الجنسي ، وتويخ معلم الموسيقى
رمز لتويخى إياه على امتناعه التام عن الفعل الجنسي
بصورة مرضية ..

٧ - الأصحاء والرموز

ويعتقد بعض الكتاب ، ومنهم هافلوك اليس ، أن
هذا النوع من الرموز لا يظهر إلا في أحلام المرضى بأمراض
عصبية .. أما الأسوياء فلا يعتد في أحلامهم بتلك
الرموز ، لأن هذه الموضوعات ليست عندهم محل كبت
أو منع

أما نحن فنعتقد أن الرمزية هي لغة الحلم عند المرضى
وعند الأصحاء ، وكل ما هناك أن استخدام المرضى
للرموز في أحلامهم أكثر وأشد ، أما الرموز في أحلام
الأصحاء فأوضح وأبسط ولذا يكون تفسيرها أسهل ..

وللتدليل على ما أقول أروى حلم فتاة سليمة من
الأمراض العصبية ، ولكنها شديدة الحياء .. كنت أعلم
أنها مخطوبة ، ولكن بعض الحوائل قد تؤدي إلى تأجيل
زفافها .. واليكم الحلم :

— رأيتني أزين مركز إحدى الموائد بالورود بمناسبة
عيد ميلاد .. وشعرت أن الحفلة في بيتي ، وكنت سعيدة
وأنا أقوم بهذا العمل ..

واستطاعت الفتاة من تلقاء نفسها أن تدرك أن الحلم
في جملة رموز لرغبتها في الزواج .. فالمائدة الحافلة التي
في وسطها الأزهار ترمز إلى أعضائها الجنسية ، وسألتها
عن نوع الورود التي كانت تزين بها المائدة فقالت بسرعة :

— أغلى الأنواع التي لا يحصل عليها الإنسان إلا بثمن

باهظ ، فهناك زنايق وبنفسج وزهور حمراء .. !
وخطر لى على الفور أن الزنايق تعنى بالمعنى الدارج
رموز الطهارة والعذرية ، وقولها عن الازهار انها غالية
انما هو تحقيق لرغبة فى أن يقدر زوجها قيمة طهارتها
العذرية وأن يؤدى لها ما تستحقه من التقدير والتكريم
وأما البنفسج والقرنفل .. فيقتربان فى الدهن بمعان
جسدية تختلف عن طهارة الزنبق .. فكأنها تجمع فى
لا شعورها بين الزهو بطهارتها والرغبة فى الاتصال
الجسدى ..

٨ - حلم « بسمارك »

وفى مذكرات « بسمارك » نطالع حلما له ، رآه أيام
الازمة النمساوية فى عام ١٨٦٣ وسجله على النحو
التالى :

— رأيتنى أركب جوادى فى درب ضيق من دروب
جبال الالب ، وسفح الجبل عن يسارى ، والهوة السحيقة
عن يمينى .. والطريق تزداد وعورة وضيقا ، ثم ما ليث
الحصان أن امتنع عن السير ، وكان المكان من الضيق
بحيث لم أستطع المضي فى السير ، ولم أستطع الرجوع
أدراجى .. ولم أستطع أيضا التراجع عن الجواد ، وكان
سوطى فى يدي اليسرى ، فهويت به على الجبل وصخوره
الملساء .. وأنا ابتهل الى الله .. فاذا بالسوط يمتد الى
ما لا نهاية ، واذا الصخرة الملساء تنهارى ، وكأنها منظر
مصنوع من الورق المقوى فوق خشبة مسرح ، وتنفسح
أمامى طريق واسعة من تحتها تلال وغابات على غرار
المنظر المعهودة فى بوهيميا ، وتراءت على البعد الفيالق
البروسية وينودها تخفق فوق رؤوسها ، فشعرت وأنا
فى الحلم بالفرح الشديد ، وفكرت أن أبشر به جلالة الملك

ثم استيقظت من حلمي منشرح النفس وقد قويت روحى
المعنوية ..

ومن الواضح أن المسلك الصعب الذى يبدو فى الجزء
الاول من الحلم « انما هو اشارة الى المآزق الذى كان
يشعر به « بسمارك » فى تلك الفترة السياسية الحرجة ،
وليس بعيد أنه فى تلك الليلة أطال التفكير فى الموقف
قبل أن ينام ويظهر أن عزة نفسه لم تسمح له بالاستقبالة
بسبب الازمة « وهذا ما عبر عنه الحلم بعجزه عن التراجع
أو الترجل ..

أما بقية الحلم فواضح أنه تحقيق رغبة الخالم فى انفراج
الازمة بمعجزة « وأن يرى الجيوش البروسية مظفرة
منفردة بالسلطان ..

وقوة « بسمارك » فى أنه لم يكتف بتحقيق الرغبة فى
الحلم « بل فرض رغبته على عالم الواقع .. وجدير
بالذكر أن السوط الذى ضرب به الصخر شبيه بالعصا
التي ضرب بها موسى البحر ففلقه نصفين رمزا للمعجزة



الفصل الخامس

أضفائ أهدام • أهدام غير معقولة



أضغاث أحلام

كل منا مرت به أحلام غير معقولة .. ونحن في العادة لا ندقق في تأويل هذه الأحلام ، وتكتفى بأن نصفها أضغاث ولكننا في مثل هذا البحث عن مصادر الأحلام ، لا نستطيع أن نغفل هذا الجانب اغفالا تاما كما يصنع سواد الناس .. بل نرى حسب منهجنا أن هذه الأضغاث المزعومة لها أعراض مثل سائر الأحلام رغم عدم معقوليتها . وسأضرب أمثلة لأحلام تبدو غير معقولة في الظاهر . حتى إذا أمعنا النظر فيها وجدنا لها مفرى ، وسأضرب في البداية أمثلة يبدو فيها الأب الميت منذ زمن وكأنه على قيد الحياة ..

وأول هذه الأحلام : رآه مريض من مرضى مات أبوه قبل تاريخ هذا الحلم بست سنوات كاملة :

— كان أبى مسافرا بقطار الليل ، فخرج القطار عن القضبان .. وكان من أثر ذلك أن تهشم رأس والدى بين حطام المقاعد حتى صار كالقطيرة ، ورأيت بعد هذا مسجى في فراشه وفوق حاجبه الإسر جرح طولى .. ثم أعجب من أن يصاب أبى بهذه الكارثة لأنه كان قد مات من قبل ! وأدهش لأن لون عينيه بدا فاتحا للغاية ! والذي يتبادر الى الذهن لأول وهلة أن الحالم كان قد نسى واقعة وفاة أبيه منذ سنوات طويلة ، ثم تذكر في أثناء الحلم تلك الحقيقة فدهش لها .. بيد أن هذا التعليل

لا جدوى منه ، وحقيقة الامر أن هذا الشخص كان قد كلف نحاتا أن يصنع تمثالا نصفيا لآبيه منذ مدة ، وقبل الحلم بيومين ذهب الى « ورشة » النحات وشاهد مشروع التمثال ، وكان النحات يسترشد في صنع التمثال بالصور الشمسية لانه لم يكن رأى الفقييد في حياته قط ، وخيل الى الحالم أن تمثال والده قريب ما بين العارضين جدا ، كأنما قد ضغط بين قوتين متقابلتين .. ومن هنا حلم أن حطام المقاعد في القطار قد أطبق على رأس آبيه من جانبيه ، يضاف الى هذا انه كان من عادة ذلك الوالد ، اذا أضناه التفكير أو حزبه مشاغل الحياة ومازقها ، أن يضم جانبي رأسه بين كفيه ..

ويذكر الحالم أيضا أن مسدبسا انطلق خطأ ذات يوم في الحجرة التي بها أبوه ، فاسودت عينا الوالد بشدة .. وهذا هو ما قلبه الحلم على حسب منهج الابدال ، فصار لون عينيه فاتحا بدرجة تدعو للدهشة ..

وأما ما رآه في الحلم على صورة جرح رأسى فوق الحاجب الايسر ، فهو نوع من الابدال أيضا لخط مستعرض في جبهة آبيه - وفي ذلك الموضع بالذات - كلما استفرقه التفكير ، بيد أن الابدال في هذه المرة لم يكن حرا بل جاء نتيجة اندماج مع شرح رأسى أصاب زجاجة التصوير التي استعملها الحالم قبل يومين من الحلم لالتقاط صورة ابنته الصغيرة ، فظهر الشرح في الصورة ، وكأن الطفلة مصابة بجرح رأسى فوق حاجبها الايسر ، وقد تشاءم الحالم لانه قبل وفاة أمه بيومين سقطت من يده زجاجة صورتها السلبية فتحطمت

وهكذا ترتد هذه المتناقضات « الحلمية » الى اشتات من الذكريات لها ما يبررها من الاحداث السابقة على الحلم والذكريات البعيدة معا ..

وأضرب مثلاً ثانياً من أحلامي شخصياً ، وكان والدي قد مات قبله بسنوات :

— رأيت والدي بعد موته يقوم بالتوحيد بين طوائف الجريين المتنازعين .. ثم تراءت لى صورة غير واضحة لجمهور كبير من الناس كأنهم فى مجلس الرايح محيطين بشخص واقف فوق مقعد ، وعندئذ أتذكر أن أبى كان لحظة موته يشبه الزعيم الايطالى « غاريبالدى » شبيهاً كبيراً ، فيسرنى فى الحلم أن هذا الشبه قد صار حقيقة واقعة ..

وقد رأيت هذا الحلم فى وقت اشتد فيه تناهد المجر فيما بينهم .. وأما الصورة التى كأنها لمجلس الرايح فاعتقد أنها إعادة لصورة تاريخية رأيتها فيما مضى ، وقد احتل والدى بوقوفه فوق المقعد مكان الرئاسة ، وهذا معقول بالنسبة لمن قام بتوحيد صفوف الأمة .. وأما أن أبى لحظة موته كان يشبه « غاريبالدى » فحقيقة واقعة أيضاً ، وإذا كان هذا الشبه قد ظهر لنا عقب موت أبى — لا فى حياته — فانه يضاهى قيام أبى بدور الزعامة السياسية بعد أن مات ، وليس وهو على قيد الحياة ..

ولكن لماذا اختار الحلم لوالدى بلاد المجر ميداناً سياسياً لا إيطاليا مثلاً مع أنه كان يشبه « غاريبالدى » عقب وفاته ؟

وهنا يبرز التعليل الباطن أو الرابطة الكامنة وراء أجزاء الحلم ، فقد كان أهم ما يشكو منه أبى هو شلل المصارين .. ذلك الشلل الذى كان يعرقل عمليات الجسم ويهدد الحياة ، وفى زمن الحلم ، كانت المجر على شفا لانهايار لان المناورات البرلمانية كانت تعرقل وتكاد تشل

الحياة السياسية .. فالجامع بين المجر ووالدى هو خطر
الشلل والتعويق في الحالتين ..

وأما الرغبة التى حققها الحلم ، فهى أن تكون ذكرى
الاب بعد وفاته ذكرى عاطرة تملأ النفس بالخشوع
والإجلال ، وبهذا الحلم يوجد المبرر لتشبيهه الوالد بالزعيم
« غاريبالدى » ، ولا يكون الشبه بينهما مجرد صدفة
سطحية عارضة ..



وهناك مبرر لا يستهان به لظهور الاب في الحلم بعد
وفاته وكأنه على قيد الحياة .. وذلك أن نفوسنا مشغولة
دائما بأبائنا الراحلين ، وما أكثر المواقف التى يقول فيها
المرء :

— ماذا كان أبى حريا أن يقول فى هذا الموضوع ؟
ولا يملك الحلم لترجمة هذه الامنية الممتنعة الا أن
يفترض أن الرغبة تحققت رغم أنف الحقيقة الضخمة وهو
موت ذلك الوالد منذ زمن ، فيجعل الوالد يتصرف كما
لو كان حيا لم يغيبه الثرى ..



وهناك نوع آخر من الاحلام ، يرى فيه الحالم ذويه
الراحلين .. وكأنهم على قيد الحياة ، وفى جزء من الحلم
يبدو أنهم رغم وجودهم على قيد الحياة فى عداد الموتى
مما يجعل الحلم غير معقول ، ولكنه فى الحالين يعبر عن
تحقيق رغبة الحالم ..

وأعرف شخصا رجلا أفرط فى عنايته بأبيه فى مرضه
الآخر ، وحزن لموته حزنا شديدا .. وبعد وفاة أبيه
بمدة طويلة روى لى هذا الحلم :

— رأيت أبى وكأنه على قيد الحياة يكلمنى مثلما كان

يفعل في حياته .. ولكنى كنت أعلم وأنا أكلمه أنه ميت،
أما هو فلم يكن يدري ذلك !

وتفسير هذا الحلم المتناقض أن الحالم أثناء قيامه
بتمريض أبيه تمنى له وهو لا يدري أن يموت كي لا يطول
عذابه بغير طائل .. فلما حقق الواقع هذه الأمنية
اللاشعورية ، ثار في النفس في مقابها ندم لا شعورى
أيضا .. كأنما هذه الأمنية قد عجلت حقا بموت الأب ،
وهكذا ظهر الأب في الحلم وكأنه لم يمت ارضاء لرغبة الندم
وعزاء عنها . وكان في الوقت نفسه ميتا من غير أن يعلم
ذلك وكان ذلك تحقيقا للأمنية اللاشعورية !

وأنا اعترف أن الأحلام التى يظهر فيها من يحبهم الحالم
من الأموات وكأنهم على قيد الحياة . إنما هى أحلام
عسيرة ليس من السهل تفسيرها تفسيراً واضحاً مقنعاً
في جميع الأحوال .. والذنب في ذلك ليس ذنب منهج
التفسير العلمى بل مرجعه الى ما في علاقة الحالم بهؤلاء
الأشخاص من تناقض ، وانى لا قر أن منهجى في تفسير
الأحلام لم يتمكن من تذليل جميع العقبات وحل الالغاز
الكثيرة التى تحفل بها مثل هذه الأحلام المعقدة



وسأروى الآن حلما من أحلامى الشخصية استطعت
أن أضبط فيه مصادر الخلط التى جعلته غير معقول ..
وهذا الحلم جاء عقب رؤيتى للكونت تون - عند
قيامى بالاجازة الصيفية - وقد رأيتنى راكبا عربية من
عربات الخيل ، وأمر الحوذى أن يذهب بى الى المحطة .
وشعرت في الحلم أن الحوذى يبدى ممانعة ، وكأنه يحتج
لانى أزعجته ، فأقول له :

- أنا طبعاً ليس فى وسعى أن أركب معك فى عربتك
كل مسافة القطار !

واللهش أننى ما أن قلت له هذا فى الحلم حتى
أحسست وكأنى ركبت عربته بالفعل نفس المسافة التى
يقطعها القطار !
وأبدأ بالظروف التى أحاطت بى فى اليوم السابق
للحلم ..

ركبت عربة أجرة كى أتوجه الى شارع بعيد بالضواحي
.. وكان الحوذى يجهل موقع ذلك الشارع بالضبط .
ولكنه لم ينبهنى الى ذلك ، بل فعل ما يفعله أهل هذه
الطائفة دائماً . افترض أننى أجهل المكان وراح يضرب
على غير هدى . ولكنى فطنت الى ما فعل بعد حين .
فأرشدته الى الطريق الذى ينبغى أن يسلكه ، وأتحفته
بكلمات توبيخ لاذعة . وهنا أحب أن أنبه القارئ الى أن
الحوذى يرتبطون فى ذهنى بنوع من الارتباط الخاص
بطبقة النبلاء ، لان نبلاء النمسا مغرمون بقيادة العربات
بأنفسهم .. وكان الكونت تون هو حوذى عربة الدولة
والعجيب أن الحوذى فى الحلم لم يكن يمثل الكونت تون ،
بل كان يمثل شقيقى ، والمناسبة التى دعت الى ذلك
أننى كنت قد اعتزمت فى هذه السنة أن أقوم معه برحلة
لايطاليا التى أحبها جداً . بيد أنى ألغيت هذه الرحلة
توبيخاً لآخى اذ بلغنى تدمره من سفرى معه لانى أزعجه
بالتنقل السريع من بلد الى بلد ، ونهمنى الى مشاهدة
آلاف الاشياء الجميلة فى أقصر وقت

وفى المساء الذى رأيت فيه الحلم ، ركب آخى معى عربة
الى محطة السكة الحديد .. ولكن قبل أن تصل العربة
الى المحطة الرئيسية ، قفز آخى منها الى محطة خطوط
الضواحي ليذهب الى ضاحية « بوركسدورف » مع أنه
كان فى استطاعته أن يذهب اليها بالخط الرئيسى ، وبذلك
يبقى معى مدة أطول ، وهذا هو مصدر ما رأيته فى الحلم .

وكأنى ركبت العربية نفس المسافة التى يقطعها القطار .
وكل ما هناك أن الحلم استخدم الضد أى عكس ما حدث
فعلا . وهذا العكس ترتب عليه أن يستخدم الحلم العربية
بدلا من القطار . وأن يحل الخوذى محل أخى . . ومن هنا
بدا الحلم غير معقول



وسأذكر الآن حلما غير معقول كذلك محوره أبى المتوفى:
- رأيت أنى تسلمت من بلدية مسقط رأسى اخطارا
تطالبنى فيه بسداد مبلغ معين . بدعوى أنه فى عام ١٨٥١
أصيب شخص باغماء وهو فى بيتى ، ونقل الى المستشفى
حيث استبقوه هناك وأنفقوا على علاجه . وما أن أقرأ فى
الحلم هذا التبليغ أو الانذار حتى انفجر ضاحكا لأنى لم
أكن ولدت فى عام ١٨٥١ المزعومة ، وبفرض أن هذا
الانذار موجه الى أبى ، فابى قد مات منذ زمن ، ورغم
علمى بذلك أذهب وأنا فى الحلم الى الحجرة الأخرى حيث
أجد أبى فى فراشه وأستوضحه المسألة ، وكم كان عجبى
اذ يقر أبى أنه أفرط فى الشراب ذات مرة عام ١٨٥١ مما
أدى الى القائه فى الحبس ، وكان وقتئذ يعمل لحساب
شركة كذا ، فأسأله مستنكرا : وهل كنت مدمنا على
السكر أيضا ؟ وهل مع ذلك تزوجت فيما بعد . . ثم
أقوم وأنا فى الحلم بحسبة أعرف منها أننى ولدت عام
١٨٥٦ ، ولكن يخيّل الى فى الحلم أن هذا العام هو التالى
مباشرة لعام ١٨٥١

والدهش فى هذا الحلم أن المشهد الاساسى منه عبارة
عن مشادة حامية سافرة بينى وبين أبى ، وأنى لم أتورع
عن صب التجريح اللاذع عليه ، ولا تكاد ندرى كيف يمكن
لمثل هذا العمل - لو أنه كان صادرا عن رغبة لا شعورية -

أن يمر بهذا الوضوح الصريح بين سماع الرقابة الشعورية
وبصرها ..

يبد أن هذه الحيرة تتبدد سريعا اذا فطنا الى أن الوالد
المتوفى ليس في هذا الحلم إلا ستارا لشخص آخر ، وأن
هذه المشادة إنما تحدث في الحلم بيني وبين ذلك الشخص
الأخر في الحقيقة .. فكأن الحلم في هذه المرة قام بعملية
قلب أو ابدال غريبة .. إذ أن الحلم حين يخرج الابن عن
الاحتشام نحو الوالد ، يدع شخصا آخر يقوم بالحلول
محله ارضاء لمقتضيات الرقابة ، أما في هذا الحلم بالذات ،
فقد كان الاب مجرد قناع تختفي وراءه الشخصية
الحقيقية لمن أصب عليه سخريتي ، ولا أشعر في الحلم بأى
تأنيب أو حرج لان الشخص الحقيقي الذى أهاجمه
وأجرحه ليس هو أبى بل الشخصية المختفية من ورائه
ومناسبة هذا الحلم أننى كنت قد سمعت ، قبـله
مباشرة ، أن أستاذا من أكبر الزملاء مقاما ويعتبر حجة
وحكما في الوسط العلمى قد صارح الناس باستنكاره
لانى ظلت أعالج مريضا من مرضاى بالتحليل النفسى
على مدى خمس سنوات ..

ووجه الشبه بين هذا الاستاذ الزميل الكبير وأبى ، أنه
كان يقوم بالنسبة لى ببعض ما صار أبى عاجزا عن القيام
به نحوى من المسئوليات بسبب موته .. فلما بلغنى عنه
أنه يهاجمنى فى المجالس نشب فى داخلى صراع انفعالى
كالذى ينشأ عادة فى سريرة الابن حين تضطرب علاقته
بأبيه

وأما مطالبتى بما لا يعقل أن أطالب به من الغرامة لانى
لم أكن ولدت فى تاريخ استحقاقها ، فهو كناية عن
احتجاجى على ذلك الزميل لانه يلومنى على ما لم يكن
فى وسعى أن أتفاداه .. فما ذنبى اذا كانت حالة المريض

لم تسمح لى بعلاجه فى مدة اقل من هذا ! وهل توجد
طريقة أخرى لعلاج مثل هذه الحالة فى مدة أسرع ؟ ..
ان الزميل الكبير يعرف كل هذا ! فليس من المعقول
ان يلومنى عليه لوما لا أستحقه ، كما اتنى لا أستحق
الغرامة التى لم اكن ولدت حين توقيعها !

و أما ذهابى الى الغرفة الثانية ، فدليل آخر على أن
أبى الميت كان قناعا لذلك الشخص الحى ، وأن ذهابى
اليه فى الحلم كأنه صيغة توبيخ لذلك الزميل الكبير اذ
يقارن موقفه منى بموقف أبى منى حين ذهبت اليه فى
حجرته بالبيت ، وأخبرته بنبا خطبتى لزوجتى من غير أن
أستأذنه سلفا ، رغم ما كان أبى يتمتع به فى الاسرة من
سلطان أبوى مطلق ومهابة على الطراز القديم .. فقد
أظهر أبى فى تلك المناسبة سماحة لن انساها

وكأنى بهذا أقارن فى الحلم بين سماحة أبى واغضائه
عن تناسى مكانته وحقوقه ، وبين مسلك من حل محل
أبى اذا هاجمنى من غير وجه حق

وأما سبب توبيخى فى الحلم لأبى ، وتعييرى اياه بالسكر،
فينصرف أيضا الى الشخص الحقيقى الذى كان يمثله أبى
فى الحلم .. فان هذا الشخص كان قد اعترف لى بأنه فى
صدر شبابه كان قد أدمن نوعا من المخدرات الطبية حتى
ساءت صحته وعولج فترة طويلة فى إحدى المصحات

وعلى هذا الاساس ، يكون تعييرى موجهها الى ذلك
الاستاذ العظيم وهو الدكتور ماينيرت ، بأن من كان مثله
قدوة لرجال العلم ينبغى الا يلوم الناس على هفواتهم !
وفى صفحاته مثل تلك السقطات المخجلة !

وأما اعتقادى فى الحلم أن عام ١٨٥٦ هو التالى مباشرة
لعام ١٨٥١ فهو ترجمة مباشرة لقولى أن مدة الخمسة

أعوام التي طالها العلاج ليست بذات قيمة ، وأنها
لا تساوى أكثر من عام واحد في الواقع لان الذنب ليس
ذنبى بل ان ظروف الحالة هي التي أوجبت ذلك
وأزيد الامر وضوحا ، فأقول ان لمدة الخمسة أعوام
علاقة أخرى لشعورى .. غير موضوع تشهير العلامة
ماينيرت بى ! فتلك الفترة نفسها هي التي ظلمت أو جل
فيها زواجى ! وجعلت خطيبتى تنتظر اتمام الزواج كل
تلك المدة .. فانا في الحلم أيضا أهون على نفسى هذا
الارجاء !



أحلام غير معقولة

وقد تتخذ الاحلام غير المعقولة علم الحساب ، وما فيه من ارقام ، مادة لاضفائها .. ولذا سأروى حلما من احلامي شخصا كنموذج لتلك الطائفة :

- حلمت ان صاحباً لي هو « م » نشرت احدي الصحف مقالا ضده اعتقدنا كنا انه تجاوز كل حد ، وكان صاحب المقال هو الشاعر العظيم « جوته » بقضه وقضيضه ، وتأذى « م » كل التأذى من المقال ، وجار منه بالشكوى الى الحاضرين في احدي الولاثم ، ولكنه لم يسمح لهذه المسألة الشخصية ان تقلل من تقديره لجوته .. واحاول وانا في الحلم ان اراجع التواريخ ، فأذكر ان « جوته » مات عام ١٨٣٢ ، فلا بد ان يكون مقاله ضد « م » سابقا على هذا العام ، وبالتالي يكون « م » وقتئذ في مطلع شبابه ، ويخيل الى انه غالبا كان في الثامنة عشرة ، وأشعر اننى غير متأكد في اى عام نحن الآن ، ويؤثر ذلك على حسابي ويكتنفه الغموض .. ولكنه أدرك ان هجوم « جوته » على صاحبي جاء في غضون مقال « جوته » المشهور عن الطبيعة ..

وهذا ولا شك حلم بالغ الغاية من السفاهة التي يبدو من المستحيل العثور على تبرير لها .. ولسكنى سأذكر الآن ما يكتنف الحلم من ذكرياتى ..

أما « م » فقد تعرفت به لأول مرة وسط مجموعة من الرفاق المدعوين الى وليمة ما ، ومنذ امد قصير

طلب منى أن أفحص شقيقا له يعتقد أنه يعاني من أعراض اضطراب عقلى معين ، وثبت أن «م» لم يجانب الصواب فى حدسه عندما اتانى بأخيه فى عيادتى وفحصته ..

وفى غضون هذه الزيارة الاولى اتى المريض شيئا سخيفا ، فقد أخرج أخاه من غير مبرر بأن فضح جانباً من سفاهات صباه .. !

وفى هذه الزيارة أيضا ، سألت المريض فيما سألته من عام مولده ، وكان من اجراءات الفحص أن يقوم بعمليات جمع صغيرة كى أعرف الى أى مدى يصل به ضعف الذاكرة ، فاذا به يقوم بتلك العمليات على خير

وجه

ولعل الحلم يشير الى هذه الوسيلة من وسائل الامتحان ، اذ قمت أنا فى الحلم بما كنت أتوقعه من المريض شقيق «م» فلم أعرف بالضبط فى أى عام نحن ..

أما المقال الهجومى فهو يشير الى مسألة أخرى وقعت منذ زمن وجيز .. فلى صديق يصدر مجلة طبية ، وقد نشر فى تلك المجلة هجوما عنيفا تجاوز كل الحدود المعقولة ضد كتاب لصديقى المحترم «ف» ، وكاتب المقال شاب صغير السن جدا وقدرته على التمييز محدودة ، فوجدت من واجبى أن أتدخل .. فناقشت صاحب المجلة معتمدا على ما بيننا من صداقة ، فأبدى أسفه الشديد لاقدامه على نشر ذلك المقال .. ولكنه لم يفعل شيئا لتصحيح الوضع فحررت اليه خطاب استقالة من تحرير قسم من مجلته ، وأعربت له فى ذلك الخطاب عن ابقائى على مودتنا الشخصية

وواضح أن هذا هو ما يشير اليه الجزء من الحلم الخاص بنقد «جوته» لصديقى «م» .. ولكن الاوضاع فيه مقلوبة كما هو معهود فى كثير من الاحلام ، فالمهاجم الناقد

عظيم القدر كبير السن ، والمنقود شاب في حداثة العمر ،
ورغم عنف الهجوم بقيت العواطف الشخصية بمنجاة من
التأثر بها ..

ولكن ما الذى أثار موضوع « الطبيعة » في الحلم ؟ ..
منذ عهد غير بعيد كانت إحدى مريضاتي تصف حالة
أخيها الذى كان مصابا أيضا بمرض عصبى ، وأخذت
تقلد صياحه أثناء النوبة :

— أيتها الطبيعة ! .. أيتها الطبيعة ! ..

وظن الحاضرون أن هذه الصيحة صدى لمطالبات
المريض في أدب « جوته » ومقاله المشهور عن الطبيعة ..
أما أنا فقلب على ظنى أن المريض يقصد معنى جنسيا
يرتبط بالمغزى الدارج لكلمة الطبيعة على السنة
العوام .. ثم صدقت الحوادث ظنى بعد ذلك ، عندما
عمد الشاب المسكين فى إحدى نوباته التالية الى استئصال
أعضائه التناسلية ، وكانت سنه فى ذلك الوقت لا تزيد
عن ثمانى عشرة سنة !

وسن الثانية عشرة هو نفس السن الذى عزاه الحلم
الى صديقى « م » عندما حطمه « جوته » بهجومه
الساحق ..

وواضح أيضا أن الحلم يسلك مسلك التهكم الشديد
عن طريق قلب الأوضاع ، فهو يفترض شيئا سخيفا
وغير معقول .. وأعنى به مهاجمة « جوته » العظيم
لشباب لم يتجاوز سن الغلمان ، فلا بد أن يكون أشد من
ذلك هذرا ومدعاة للاستنكار أن يهاجم شاب فى عمر
الغلمان شيخا جليلا من الخالدين مثل « جوته » الذى
يقوم فى الحلم مقام صديقى المؤلف « ف »

وأذكر أيضا حلما من الأحلام غير المعقولة التى تراءت

لى ، نرى فيه استخداما للصيغ اللفظية لا سيفه الفهم
لاول وهلة :

— رأيت انه جرت في مدينة روما أمور تحتم بسببها
ترحيل الأطفال الى موضع مأمون . وقد تم ذلك فعلاً .
والمنظر امام مدخل المدينة — وهو ذو مصراعين على
الطراز العتيق — وقد أدركت وأنا في الحلم أن ذلك الباب
هو الذى يوجد حقيقة في مدينة سينا مع أن الشهيد
في روما . وأجد نافورة من النافورات المنتشرة في ايطاليا،
فأجلس على حافتها وأجما تكاد تسيل دموعى ، وتقبل
انى لعلها راهبة أو مربية ، ومعها طفلان تعطيها الى
والدهما الذى كان بالقرب منى . . ولكن أكبرهما هو
ابنى البكر بلا شك ، أما الولد الآخر فلا اتبين وجهه .
وتطلب منه التى جاءت به أن يمنحها قبلة وداع ، فأتبين
أن انفها أحمر اللون بصورة واضحة ، ويرفض الطفل
أن يقبلها . . بيد أنه يشد على يدها مودعا يقول لها كلمة
غريبة ليس لها معنى لغوى . ثم يلتفت نحوى . أنا
والرجل الآخر ، ويقول كلمة قريبة منها في اللفظ . وليس
لها أيضا معنى ولكن يخطر ببالي وأنا في الحلم أن هذه
الكلمة الأخيرة تعنى أنه يفضنا عليها

والآن لابد من التمهيد لهذا الحلم بالذكريات التى
حدثت قبله . فقد شهدت مسرحية أثارت مناظرها بعض
أجزاء هذا الحلم ، وواضح أيضا أن متاعب اليهود لها
صلة بالافكار المنبثقة في طياته ، فاليهودى فى المانيا والنمسا
وما اليهما من البلدان يشعر بالهم لانه لا يضمن لابنائيه
وطنا مستقرا ، ولا يعرف كيف يوفر لهم نوعا مناسبا من
التعليم يسهل لهم الحياة عندما تضطرهم الظروف
للرحيل من بلد الى آخر فجأة

ومدينة سينا مشهورة بنافوراتها البديعة مثل روما،

ولما لم أكن قد رأيت روما عندئذ من قبل ، فلم يكن بد من أن أستدل عليها في الحلم بمنظر رأيته من قبل وهو مدخل مدينة سيينا ، وبالقرب من هذا الموضع كنت قد رأيت في رحلتى بناء كبيرا علمت أنه مصحة أمراض عقلية . وقبيل الحلم بلغنى أن أحد أبناء ديانتي اضطر للاستقالة من المنصب الكبير الذى كان يحتله عن جدارة في مصحة كبيرة للأمراض العقلية

وأما الجلوس على النافورة والتهيؤ للبكاء ، فمشهد مستمد من المزمور الذى يصف نفى إسرائيل الى أرض بابل ويقول : على أنهار بابل هناك اجلسنا وبكىنا عندما تذكرنا صهيون . .

وأما الكلمتان اللتان قالهما الطفل في الحلم فقريبتان من كلمة التحية الألمانية المألوفة « الى الملتقى » . . ولكن جرسها اللفظى مستمد من أصل عبرى قديم معناه الفجيرة ، وأما الكلمة الأخرى التى تفسد التفضيل وليس لها معنى لغوى أصلى ، فلعلها إشارة الى العجين غير المختمر الذى يفضل استخدامه اليهود

ف وراء هذا الحشد من التخييل في الحلم ألوان من التيارات النفسية والاهتمامات التى تشغل السريرة . . فلو عرفنا كيف نتعمقها لوصلنا الى كثير من الدراية النافعة ببواطن أحوالنا ، وكان الحلم حين يتظاهر بالتخييل والجنون يسلك مسلك الأمير العظيم « هملت » حين اتخذ من الجنون قناعا ليلقى بتأملاته الحكيمة التى لا يبتذلها من لا يدققون في معرفتها . . !

لا يمكن أن يحتوى حلم الإنسان سوى على الخصوص على هراء غير معقول ، ولكن الهراء يخفى تحته - من قصد - سخرية لاذعة أو تبكيها . . وكأنه يصصف

بالتخبط ومجافاة العقل والمنطق من يشسر اليهم من
الأشخاص والأحداث

ومن الواجب عندما يروى الإنسان في حال اليقظة
حلماً ، من النوع غير المعقول ، أن يدخل في حسابه
ما يستثيره تذكر أجزاء الحلم من تعليقات ومشاعر ، فإن
هذه تعتبر إلى حد كبير عنصراً من عناصر المضمون الخفى
للحلم ، وينبغي أن يكون لها شأن مذكور في تأويله ..



واتماما للفائدة سأذكر نماذج تعين على توضيح
الفكرة ..

قالت إحدى السيدات أنها لا تستطيع أن تتذكر
حلمها لأنه ليس واضحاً لها الآن كما يجب ، فكل ما تعرفه
أنها رأت في الحلم شخصاً ليست واثقة هل هو زوجها أم
والدها .. ثم رأت في الحلم منظرًا ثانياً جاء فيه شيء عن
آنية السماد

ولما سألتها عما يشير ذكر السماد لديها من الخواطر،
قالت :

— في الفترة الأولى من زواجي لم أكن متمرسية
بأعمال البيت ، فقلت على سبيل المزاح أمام قريبة لي :
أن أول ما سأفعله هو شراء وعاء سماد جديد للبيت ..
وإذا بهذه القريبة تفاجئني في اليوم التالي بأهدائي
صندوقاً للسماد ملىء بالازهار الجميلة

وهذا الجزء من الحلم ليس منقطع الصلة بتعبير الماني
شعبي معناه التنصل من التبعة أو التبرؤ من النسب ،
وفي نهاية تحليل حلم هذه السيدة ، اكتشفت أن مضمونه
يتصل برواية سردت على مسامعها وهي صغيرة عن
شبابة وضعت طفلاً لم يعرف أحد من عسى يكون أبوه

وهكذا يخفى الحلم المطموس الذى طمرته الذاكرة عند
اليقظة صلة قد لا يجد الحالم فى حال يقظته ما يغريه
باستعادته



ومن هذا القبيل أيضا حلم رآه أحد مرضاى ، واعتقد
انه شديد الأهمية فى علاجه التحليلي . فقرر أن يذكره
لى بهذا فيه ، وقمت بتحليل الحلم فاذا به يفضح بصورة
جلية علاقة جنسية عقدها الحالم فى فترة العلاج . وكان
متشددا فى كتمانها عني . . فقام هذا الحلم بارغامه على
الاعتراف وهو لا يدري !



ونموذج ثالث كنت أنا الذى رأيت فى أحلامي :
- رأيتنى متوجها الى المستشفى مع صديقى « ب »
مخترقين حيا تكثر فيه الحداثق والمنازل المتباعدة ، وخطر
لى وأنا أحلم انى رأيت هذا المشهد مرارا فى أحلام سابقة ،
ولم أتبين الطريق الذى نسلكه . . فأرانى رفيقى « ب »
شارعا يؤدى الى مطعم يقع على ناصيته ، وقاعة الطعام
داخل الجدران لا فى الحديقة ، وسألت هناك عن السيدة
« د » فقالوا لى انها تقيم فى حجرة خلفية صغيرة مع
ثلاثة أطفال ، فأتجهت الى هناك . . ولسكنى قبل أن
أصل الى الحجرة قأبت شخصا لم أتبين ملامحه ، وفى
رفقته طفلتاى الصغيرتان . وصحبتهما بعد أن جلست
معهما فترة ، ودار بذهنى السخط على زوجتى لانها
تركت البنيتين فى ذلك المكان . .

وأول ما خامرنى عند اليقظة هو السرور العظيم لاننى
بهذا الحلم سأعرف بطريق مباشرة المعنى لتذكر الحالم أنه
راى حلما سابقا مماثلا . .

هكذا ظننت في البداية ثم عرفت أن سرورى لم يكن لهذا السبب بل للمضنون الخفى الذى يكمن وراء الحلم . وهو أننى أنجبت أطفالا .. فرقيقى « ب » الذى رأته يصحبنى فى الحلم كان ندا لى فى الطفولة والشباب فعلا ، ويمائلى فى كل ظروفى ، ثم سبقنى اشواطا فى الناحيتين المادية والاجتماعية . وتفوق على فى كل شيء الا أنه لم يرزق من زواجه بأطفال ..

وأضيف الى ذلك أننى فى اليوم السابق على الحلم ، قرأت فى الصحف نعى السيدة « د » التى حلمت أنى أسأل عنها ، وكانت وفاتها أثناء الوضع ، وعلقت زوجتى على ذلك بأن القابلة التى ماتت على يدها السيدة « د » هى بعينها التى تولت توليد زوجتى أصغر طفلينا



وأتناول الآن حلما من أحلامى تميز بشعور العجب الذى خامرنى فى بدايته :

— أرى وكأن « بروكيه » قد كلفنى بمهمة ما .. ومن عجب أن هذه المهمة تتعلق بتجهيز الجزء الأسفل من جسمى شخصا ، بما فى ذلك الحوض والساقين ، وأرى هذه الاعضاء أمامى ، وكأنها على مائدة حجرة التشريح ، ولكنى لا أشعر بنقصان هذه الاعضاء من جسمى ، ولا يداخلنى أى أثر من الارتياح .. وكانت لويز واقفة بجوارى وتساعدنى فى ذلك العمل . وانتهى من تفريغ الحوض ويبدو الجزء الأعلى ثم الجزء الأسفل واضحين للعيان ، ولكن المسقطين يتداخلان ، وتبدو زوائد لحمية كبيرة حمراء تدعونى وأنا فى الحلم الى التفكير فى البواسير ، ثم يتحتم رفع شيء بدا وكأنه يغطيها ، وهذا الشيء أشبه بورق مفضلض مجعد ومتكسر يحتاج رفعه الى حذر ، ثم

استرددت ساقى ثانية ، وخرجت أتجول فى شوارع
المدينة ، ولما شعرت بالتعب ركبت عربة .. وكم كانت
دهشتى حين وجدت العربة توصلنى الى الباب الامامى
للمنزل ، وانفتح الباب وسمح للعربة بالمرور فى دهليز
أفضى فى نهايته الى أرض خلاء ، وأخيرا تجولت بين مشاهد
متغيرة ، ومعى مرشد من مرشدى جبال الالب .. كان
يحمل حقائبى ، ثم حملنى شخصيا مسافة ما مراعاة لما
أصاب ساقى من تعب ، وكانت الأرض كثيرة الوحل ،
فسرنا عند حافة الطريق .. وكان هناك قوم جالسين
على الأرض يشبهون الهنود الحمر أو الفجر ، ومن بينهم
فتاة .. وحتى ذلك الوقت كنت أسير فوق الأرض
الموحلة ، وأنا فى دهشة متواصلة لمقدرتى على ذلك السير
بعد قيامى بالتشريح ، وأخيرا وصلنا الى بيت خشبى
صغير فى أحد طرفيه نافذة مفتوحة ، وهناك أنزلنى
المرشد الى الأرض ، ثم وضع لوحين من الخشب كانا
معدين هناك من قبل ، وجعل طرفيهما على حافة النافذة
كأنه يقيم قنطرة يعبر فوقها الهاوية من يريد الخروج
من النافذة .. وعندئذ شعرت بفزع حقيقى بخصوص
ساقى ، ولكن بدلا من العبور ، رأيت رجلين بالفين
يرقدان على مقعدين خشبيين مثبتين على جدار الكوخ ..
وبجوارهما ما بدا لى كأنه طفلان نائمان ، وكان الذى
سيجعل العبور ممكنا ليس هما اللوحان الخشبيان بل
الطفلان ، وعندئذ استيقظت وأنا فى حالة ارتباك ..

واذا راعينا مدى ما فى الاحلام من كثافة ، استطعنا
أن نتصور مدى ما يقتضيه تحليل هذا الحلم تحليلا
تفصيليا من عناء وتطويل ، ولكنى لن أتعرض هنا الا
لنقطة واحدة هى نقطة شعورى بالعجب أثناء الحلم ..
والمناسبة التى أثارت الحلم هى زيارة من لوىز التى

رايتها بجانبى فى الحلم تساعدنى على العمل ، وفى هذه
الزيارة طلبت منى أن أعطيها كتابا تقرأه ، فزكيت لها
كتاب « هى أو عائشة » للروائى الانجليزى ســـــ
« رايدر هجارد » وقلت فى أسباب تزكيتى لهذا الكتاب :
- انه كتاب « مدهش » وفيه معان خفية كثيرة من
الانوثة وتجدها ، وعن احساساتنا وأبديتها ..

وعندئذ قاطعتنى لوز قائلة :

- أعرف هذا الكتاب .. أريد شيئا غيره

- مثل ماذا ؟ ..

- شيئا من تأليفك مثلا ..

فأجبتها ضاحكا :

- كتبى التى يمكن أن توصف بالخلود لم تطبع بعد
فأجابتنى متهمكة :

- متى تظهر تبسيطاتك التى وعدت أن تكون فى
متناول فهم القارئ العادى ، حتى ولو كان من مستوانا ؟
وعندئذ لاحظت أنها تقول ذلك الكلام « وكأنما قد
أوصاها شخص آخر أن تقوله لى .. فلزمت الصمت »
واتجه تفكيرى الى الثمن الفادح الذى سادفعه لو أننى
نشرت صفحات كتابى هذا عن تفسير الأحلام ، لما
سيترتب على ذلك حتما من كشف الستار عن أسرار
كثيرة تتصل بحياتى الخاصة ومزاجى الشخصى وتكوينى
النفسى ، وتذكرت على الفور تلك العبارة الشعرية البليغة
التي وردت فى الجزء الاول من « فاوست » على لسان
الشیطان .. اذ يقول للدكتور فاوست :

- خير ما يصل اليه علمك من حقائق الامور لن تجد
مناصا من كتمانته فى صدرك لانك لا تجسر أن تفضى سره
لتلاميذك

ومن هنا ندرک أن مشهد تشریح الجزء الأسفل من

جسمى شخصيا انما هو كناية عن تحليلي لخفايا نفسي
تحليلا لا بد منه وانا اعالج تفسير احلامي الشخصية ..
ولكن ما الذى جاء هنا بالعجوز بروكيه ؟ ..

ان « بروكيه » هنا يأتى فى موضعه الصحيح ، لاننى
فى مستهل حياتى العلمية اكتشفت مسألة دقيقة .. ثم
تركت هذا الاكتشاف مهملا الى أن عرف الشيخ
« بروكيه » بأمره فوبخنى وارغمنى على نشره ارغاما ،
وها هو ذا يأتى فى الحلم ليقوم بالدور نفسه « دور الحث
والالزام بنشر مكتشفاتى فى تفسير الاحلام ..

وأما قولى فى اليقظة للوزير عن رواية « عائشة » انها
مدهشة ، فهو مقترن أيضا بما فى الحلم من مناظر الوحل
والهنود الحمر والجسور المقامة فوق الهاوية والبيوت
الخشبية .. وهى مناظر يكثر « رايدر هجارد » من
استخدامها فى مغامراته ..

والمجهول والمستحيل الذى يتحدث عنه « رايدر هجارد »
والمناطق التى لم تطأها قدم انسان متحضر من قبل ،
والاهوال والمصاعب ، كل ذلك فى روايات « رايدر هجارد »
.. ولكنه أيضا ترجمة صادقة لعالم الاحلام التى لم
ينفذ اليها منهج علمى من قبل ، والتى أحاول بالمغامرة
والعناء الشديد أن أصل اليها ..

والبيت الخشبي رمز للقبر .. أما الاطفال المعلقون
بالجدران وكأنهم أداة العبور فوق الهاوية للخروج من
البيت ذى المنفذ الواحد ، فهم رمز لما يخامر الانسان من
أمل فى أن يصل الاعقاب من الابناء والأحفاد الى النجاح
الذى يحول دونه الاجل

وهناك أيضا حلم انتخبه من بين احلامي الشخصية لا

اقترن به اثناء حدوثه من العجب ! بل ومن محاولات للتأويل ! بعيدة المدى ، غريبة الوقع ، لا تخلو من ذكاء وفطنة ..

وقد رأيت هذا الحلم وأنا نائم في القطار ذات ليلة وكأننى أسمع من ينادى : « هولتورن » .. سيقف القطار عشر دقائق :

وفي اثناء الحلم ! اتجه تفكيرى فوراً الى « هولتورن » ! ثم الى متحف للتاريخ الطبيعى ، ثم الى الثورة التى نشبت هناك من الاهالى الشجعان ضد حاكم طاغية .. ولم يبالوا بتفوق جيوشه ! وان كانوا لم يظفروا بالنصر ! ان هذه هى الحركة الرجعية فى النمسا ! .. وكان هذا الموضع من أقاليم التيرول ، وأجد أمامى متحفا صغيرا فيه ما تبقى من آثار أولئك الرجال الشجعان .. ولكنى لا أراها بوضوح ، وأتمنى لو نزلت من القطار ، ولكنى أحجم وأتردد ، وأرى على أفريز المحطة نساء يحملن الفاكهة ! مقعيات على الارض ، وفى أيديهن السلال بصورة لطيفة ، وأتردد فى النزول لأنى لست متأكدا من أن الوقت يسمح بذلك .. بيد أن القطار لا يتحرك ، وأجدنى فجأة فى ديوان آخر بالقطسار وقد تقاربت المقاعد جدا بحيث يلتصق ظهري بنهاية العربة ، ويدهشنى هذا .. وأحس كأنى ذهبت الى عربة أخرى أجد فيها أشخاصا كثيرين ، منهم أخ وأخت انجليزيان ، وعلى الرف كتب يراها الناظر بوضوح ! ومن بينها « ثروة الامم والمادة والحركة » لـكلارك مكسويل ، وهو كتاب ضخيم غلافه من قماش بنى اللون ، ويسأل الانجليزى اخته : هل نسيت كتاب شيلر ؟ وأشعر أن الكتب التى أمامى هى تارة كتبهما ، وتارة كتبى أنا ، وأجد دافعا للتدخل فى حديثهما لاؤكد شيئا .. ولكنى أستيقظ عندئذ وقد تصببت عرقا ،

وادرِك أن النوافذ كلها كانت مغلقة ، وأن القطار واقف في محطة « ماربورج »

وأخذت أدون الحلم على الفور « وعندئذ تذكرت فقرة كنت قد غفلت عنها ، وهى :

— قلت بالانجليزية للاخوين الانجليزيين ، وأنا أشير الى أحد الكتب : أنه من ... ثم صححت التعبير قائلاً : أنه بقلم ... فقال الرجل لاخته : ها هو قالها من غير أن يخطئ ..

وواضح أن الذى أطلق إشارة الابتداء في الحلم هو ما سمعته « وأنا نائم » من نداء الموظفين باسم المحطة .. فتسبب النداء في تنبيهى بعض الشيء « فلم أتبين اسم « ماربورج » وظننته « هولتورن »

وقد اقترن سفرى في تلك الليلة بظروف مزعجة ومتعبة ، مع أننى كنت أركب في الدرجة الاولى .. بيد أن القطار كان مزدحماً جداً ، وشاركنى في مقصورتى رجل وزوجته كانا على درجة بالغة من سوء الادب ، ولعلهما تعمداً أن يظهرأ لى تدميرهما لدخولى المقصورة ومشاركتى اياهما فيها ، بحيث أنى ألقيت عليهما التحية فتجاهلانى وتجاهلا تحيتى ..

ومع أن هذين الزوجين كانا يحتلان المقعد الذى الى جهة القاطرة ، فقد سارعت السيدة باحتلال المكان الذى يواجهها بجوار النافذة فوضعت فيه مظلتها « وقام السيد باغلاق الباب « وتبادلا تعليقات فظة حول مقتضيات فتح النوافذ واغلاقها ، ولا بد أنهما فطنا الى تشوقى في تلك الليلة الحارة الى نسمة من الهواء الطلق « فأبديا تمسكهما بأحكام اغلاق النوافذ والباب .. ولم تلبث المقصورة بطبيعة الحال أن استحالت الى ضاحية من ضواحي جهنم !

وكننت قد عرفت من خبرتى فى الاسفار أن أولئك المتفطرسين قليلى الحياء يكونون فى الغالب من غيرالركاب الاصليين للدرجة الاولى ، وانما هم ممن يحصلون بالمحسوبية على ترخيصات سفر مجانية أو على تصريح للسفر بنصف الاجرة أو ربعها !

وكانت المرأة ذات وجه عجوز مجعد وملامح صارمة ، فى سن تقارب سن اليأس .. وأما الرجل فكان عتسلا صموتا ، ظل جامد الملامح لم يفتح فمه بكلمة واحدة .. وبعد قليل ، صدق ظنى حين جاء ملاحظ التذاكر .. فابرزت له تذكرتى التى دفعت فيها مبلغا طائلا ، وعندئذ قالت المرأة للملاحظ بلهجة أمرة متعالية :
- زوجى معه تصريح مجانى بالسفر ..

وبعد انصراف ملاحظ التذاكر ، حاولت أن أستريح من صحبتهما بالنوم .. وبدأت أنتقم فى نومي من رفيقى السوء هذين

وما من شك أن الجزء الاول من الحلم حفل بأنواع من القذف والسب والاحتقار .. ولكن هذه الاجزاء من الحلم تطايرت عند اليقظة لانها أدت مهمتها وانقضت الحاجة اليها ..

أما الجزء الثانى من الحلم ، فكان تحقيق رغبة فى مغادرة هذه المقصورة .. وقام الحلم أيضا بتلبية رغبتى ، فأوجد لى رفيقين شابين أرق من هذين حاشية ..

ولكن العجيب حقا أننى وأنا فى الحلم دهشت لتغير المقصورة ، وحاولت وأنا فى الحلم أيضا أن أعلن هذا التغير المعتاد فى الاحلام بأننى لابد قد تركت المقصورة أو غيرت العربية وأنا نائم

ولا اعتقد أنه من المنتج اضافة نماذج أخرى من تلك

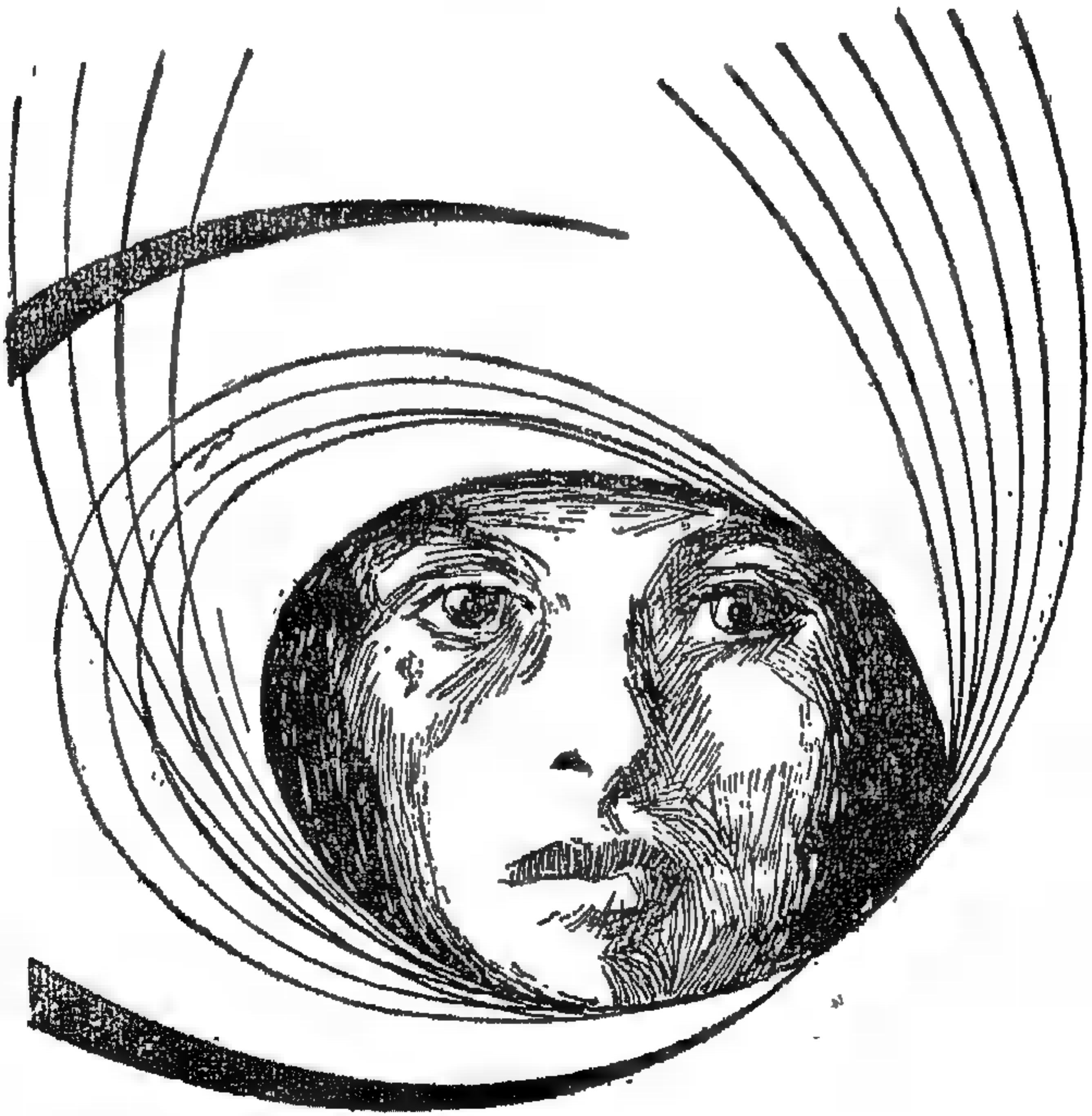
الاحلام . فلن يؤدي ذلك الا الى تحصيل ما هو حاصل
فعلا ..

ان الاحلام السابقة تكفى للقول بأن الاحكام التي
تصدرها اثناء احلامنا ان هي الا صدى مكمل لجزء من
اجزاء الحلم . وقد يكون هذا الصدى غير ملائم . ولكنه
قد يكون كما في المثال الاخير دالا على ذكاء وفطنة حتى
ليصلح ثمرة لنشاط عقلى يقظ مستمر اثناء الحلم
وقد آن الاوان الآن للاهتمام بالحالة الانفعالية للعالم
والمظهر الذى تبدو به فى الحلم



الفصل السادس

الحالة الانفعالية في الحام • ما لدرجة انفعالية أفرى
لماذا نفسي أمهاتنا ؟



الحالة الانفعالية في الحلم

أن الحالة الوجدانية التي تقترون بالحلم لا يمكن أن يستهان بها حتى عند الذين يستهينون بمعنى الحلم نفسه وأصدق تعبير عن ذلك ما قاله « شترينكر » :

— قد تشعر بالخوف الشديد حين تحلم بهجوم اللصوص عليك .. واللصوص وهم ما في ذلك شك ، ولكن خوفك منهم ليس وهما وإنما هو خوف حقيقى ما في ذلك شك !

وما يقال عن الخوف في الحلم ، يقال كذلك عن السرور .. فما يقترون بالحلم من حالة انفعالية لا يختلف في شيء إطلاقاً عن أحوالنا الانفعالية ونحن في اليقظة ..

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن مضمون الحلم جدير أن يحتل مكانه بين الحقائق الواقعة بعنصره الوجدانى كما هو ، أما عنصره الفكرى فموضع خلاف ، وقصارى دعوانا أنه يحتاج الى تأويل وتفسير على ضوء منهج التحليل ..

ولكن الملاحظ أننا في حال اليقظة نربط بين حالتنا الانفعالية وبين المضمون العقلى للأشياء ، ولذلك عندما نستيقظ من حلم مروع ، ونتأكد من عدم وجود المبرر الفكرى للارتياح في عالم الواقع يفرخ في روعنا على الفور ومن العجيب في أمر الأحلام أيضاً أن المدلول الفكرى في الحلم لا يقترون حتماً لزماً بالآثر الوجدانى المعهود في

اليقظة ، فقد نرى في الحلم عزيزا علينا يصاب بمكروه ،
ولا نشعر في الحلم لذلك بأى صدى من الاكتراث ، وقد
نأتى في الحلم عملا لا يكاد أن يعلق به غبار ، بيد أننا نشعر
في الحلم بحرج شديد وخزى ، ونتمنى لو أن الأرض
انشقت فوارتنا عن العيون

ولهذا حق لبعض العلماء أن يقرر أن الأحداث تنفصل
في الحلم عن أثرها الانفعالي .. فقد يحدث الانفعال
الشديد من غير مبرره ، وقد يحدث المبرر القوى ولا يقع
الانفعال الشديد !

وهذا الانفصال بين المضمون الفكرى والمضمون
الانفعالي هو الذى حدا بنا الى القول - فيما سلف - أن
المضمون الفكرى يتعرض لعملية الإبدال والالتواء
والتعمية بحيث يدل الشئ على ضده ، فى حين يبقى
المضمون الانفعالي من غير تبديل

ما أشبه هذا بدور التخفى والتسكر عن أعين العسس
والرقيب ، ففي هذه الحالة تتجه العناية كلها الى تغيير
الشكل والمظهر .. فقد يرتدى الرجل زى امرأة ليفلت
من الرقيب ، ولكنه لا يكون بحاجة الى تغيير ما بقلبه
من عواطف أو مطامع أو مخاوف لا يمكن أن تنفذ اليها
عين ذلك الرقيب على كل حال !

كل هذا يحدونا الى عدم التعجب من التفاوت بين
المضمون الفكرى والمضمون الانفعالي للحلم الواحد ..
بل أننا نعتبر بقاء المضمون الانفعالي بعيدا عن التبديل
والتشويه بمثابة نعمة كبرى ، لأنها نقطة الانطلاق نحو
الكشف عن المغزى الخفى وراء المضمون الفكرى للحلم
اننى حين أرى في الحلم عزيزا أصيب بمكروه ، ولا
أشعر في الحلم لذلك بلذع أو أسى ، أستنتج على الفور أن
ذلك العزيز المصاب لا يمثل شخصه ، إنما هو ستار

لشخص آخر أو شيء آخر ينبغي أن أكشف عنه بالتحليل وكذلك الحال حين يحدث العكس .. فإذا لم يقع منى في الحلم ما يستوجب الخزي أو الندم ، بيد أنى أشعر بخزي شديد أو ندم لاذع .. فمعنى هذا أن ما أتته في الحلم من عمل يبدو بريئاً إنما هو قناع زائف للتمويه على الرقيب الشعوري ، وينبغي أن أبحث عما تحت هذا الستار التنكري من رغبة لاشعورية « أو ذكرى قديمة مكبوتة هي الجديرة بآثارة خجلى أو ندمى

ولعل من المناسب أن أذكر هنا مثلاً طريفاً ، هو أول حلم استطعت أن أستدرج حفيدى حين كان فى الشهر العشرين من عمره كى يقصه على .. وهو حلم حقق له رغبة ، ولكن الحالة الانفعالية التى كانت حرة بتحقيق هذه الرغبة فى البقطة لازمتها فى الحلم من غير أن يكون فى ظاهر الحلم ما يبررها ..

ففى الليلة السابقة على سفر والده الى ساحة القتال ، استيقظ حفيدى وهو ينتحب بشدة ويصيح :

— بابا .. بابا .. مع ييبى
ومعناه طبعاً بلغة الطفل أن بابا وييبى (وهو الاسم الذى يطلق على الطفل فى الأسرة) سيبقيان معا ، مع أن البكاء يدل على أنه مسلم بقرب سفر أبيه الى بعيد .. ونلاحظ أنه كان يعرف منذ شهور كلمة « بعيد » .. فهو يلقي من النوافذ بكل ما تصل اليه يده ، ثم يأتينا فرحاً وهو يهتف :

— بعيد .. بعيد ..

ان الرقابة تؤثر على صور الحلم الظاهرة ، ولكنها أقل ما يكون تأثيراً على الحالة الانفعالية .. فالحالة الانفعالية اذن هى التى يمكن أن نسترشد بها فى معرفة

الحقائق التي أفسدها التشويه والتعميه على الرقابة ..
والحقيقة أن الامراض العصبية لها تأثير كبير في تقدم
هذه الدراسة ، لاننا نجد المصاب بالهستيريا مثلاً
يضطرب اضطراباً شديداً أو يرتاع بسبب تفاهات لا تبرر
كل هذا الانفعال العنيف ، والنائم الحالم قد يشعر بمثل
ذلك التفاوت الضخم بين المؤثر والاستجابة ..

ان السبب الحقيقي في الحالتين ، هو أن المؤثر الظاهري
التافه يخفى وراءه السبب الحقيقي في الهياج الانفعالي ،
وهو سبب في الحالتين مكبوت في اللاشعور ، لا يستطيع
أن يسفر عن وجهه الحقيقي في دائرة الشعور

وتأسيساً على هذا ، نذكر أن الحالة الانفعالية
والمضمون الخفي لا يكونان في الحلم وفي الهستيريا شيئاً
واحداً متكاملًا ، ومن الحالة الانفعالية ، نستطيع أن نصل
بالتحليل الى المضمون الحقيقي المستتر ..

وسأستخدم أحلاماً نموذجية لتوضيح هذه الفكرة ..



وأبدأ بحلم إحدى مريضاتي :

- رأت ثلاثة سباع في صحراء ، وكان أسد منها
يضحك لها .. ولم تشعر بالخوف ، ثم اذا بها بعد
لحظة تجرى هاربة ، وتريد أن تتسلق إحدى الأشجار ..
ولكنها تجد أن قريبة لها تشتغل معلمة للغة الفرنسية
قد تسلفتها قبلها ..

وبالبحث عن المناسبة المباشرة لهذا الحلم في أحداث
اليوم السابق ، اتضح أنها كتبت في موضوع انشاء
باللغة الانجليزية ■ أن البلد يزين الاسد ■ وعرفنا أيضاً
أن أباهم ملتج ، وأن لحيته الكثة أشبه بلبد الاسد ، وأن
معلمة اللغة الانجليزية لها اسم مشتق من الاسد في ظاهر

النطق ، وأن صديقة لها أهدتها أشعارا لأديب الماني اسمه من مشتقات اسم الأسد أيضا .. فمن الراجع أن تكون هذه هي الأسود الثلاثة التي رأتها في منامها ، فإذا كانت هذه حقيقتها فمن الطبيعي أذن ألا تشعر بالخوف منها

وبالتحليل أيضا تعقبنا خواطرها وذكرياتها ، فعلمنا أنها كانت قد قرأت منذ مدة وجيزة رواية تاريخية عن العبيد في عهد روما ، وكيف أن أحدهم تمرد وحاول الهرب فأطلقوا في أعقابهم كلاب الصيد الضارية ، فلم ينقذه منها إلا تسلق أول شجرة وجدها في طريقه .. ! وتذكرت الحاملة أيضا قصة فكاهية عن التملق والمحسوية ، فقد سئل موظف لماذا لا يتقرب إلى رؤسائه كي يحظى بالترقية ، فأجاب قائلا :

— وما حيلتي ؟ ان الباب الخلفي هو الذي يوصل إلى الرؤساء .. وقد حاولت ذلك مرة ، ولكنني وجدت رئيسي المباشر قد سبقني إلى هناك !

وأما المثال الثاني ، ففيه عود إلى تلك الشابة التي ذكرت في فصل سابق أنها حلمت بوحيد أختها مسجى في نعشه ، ولم تشعر بحزن عليه .. فقد دلنا التحليل على أن ذلك الموت إنما كان ستارا غير حقيقى يخفى رغبتها في أن ترى حبيبها الذي انقطعت بينها وبينه الأسباب ، وكان من المحتم أن تشعر في الحلم بحالة انفعالية تتفق والحقيقة الكامنة ، ولا شأن لها بالمظهر التنكري الذي لا علاقة له اطلاقا بالموقف الانفعالي ، ولذا لم تشعر بالحزن اطلاقا

وهناك حالات يبدو فيها انفصال الحاملة الوجدانية

عن المضمون الخفى للحلم أكثر تعقيدا ، ونجد عمليات
الابدال على أشدها ، وسأسوق حلما من أحلامي للتدليل
على ذلك :

سأيت فى المنام شاطئ البحر أمامى وعليه قلعة ..
ثم أتبين أن القلعة ليست على شاطئ البحر بالضبط ،
وأنما هى مقامة على قناة صغيرة تفضى الى البحر ،
وحاكم القلعة هو « ب » . أرانى واقفا معه فى بهو كبير
للاستقبال فيه ثلاث نوافذ أرى منها أمامى مشربيات
مغطاة كتلك التى يطلق منها القناصة النار عندما تحاصر
القلاع ، وكنت أعلم - وأنا فى الحلم - أننى متطوع بدرجة
ضابط بحرى أو ما أشبه ذلك ، وأنا فى القلعة نتوقع
هجوم بوارج الأعداء لأننا فى حرب ، والحاكم « ب » على
أهبة مغادرة القلعة ، وهو يزودنى بالتعليمات إذا حدث
الهجوم فى غيابه ، وزوجة « ب » تلازم القلعة لمرضها
ومعها أطفالها ، والتعليمات تقضى إذا بدأ الهجوم أن يخلى
البهو الكبير فى الحال ، يفر « ب » بشدة ويولينى ظهره
لينصرف . فأتشبه به وأستفسره عن كيفية الاتصال
به عند اللزوم ، فيرد ردا مبهما ويقع ميتا ، وأدرك أننى
أرهقته بالأسئلة ولكنى لا أشعر بأى أسى لموته . وأسأل
نفسى هل من المحتم أن تظل أرملة هى وأولادها بالقلعة ؟
واليس من الواجب أن أخطر القيادة العليا . واتولى قيادة
القلعة باعتبارى الضابط الذى يليه فى الرتبة ، ووقفت
أمام إحدى النوافذ أراقب مرور السفن التجارية
السريعة . وهى تمخر عباب الماء بمداخنها الطويلة أحيانا ،
وبالسطوح مائلة مثل المخازن والمحطات أحيانا أخرى ،
ويظهر أخى بجانبى ، وينظر معى الى القناة .. يفزعنا
ظهور سفينة معينة ونصيح معا فى صوت واحد : ها هى
البارجة ! .. ثم نتبين أنها مثل باقى السفن العائدة .

وتقترب بعد ذلك سفينة صغيرة شكلها مضحك وعلى ظهرها أشياء تشبه الفنلجين والعلب ، فأهتف أنا وأخي في صوت واحد أيضا : ها هي سفينة الافطار ..

ولا شك في أن مناظر الماء والمداخن والسفن السريعة انما هي صور منقولة عن ذكريات أسفارى الشخصية في بحر الأدرياتيک ، وكان الكثير من هذه الصور واضحا جدا في ذهنى لانى قمت قبل الحلم بأسابيع قليلة باحدى تلك الرحلات في صحبة شقيقى ..

وفي الفترة التى حدث فيها الحلم كانت هناك مناوشات بحرية بين الولايات المتحدة واسبانيا ، أثارت قلق الاسرة على بعض أقاربنا المقيمين في امريكا ..

وأما الحالات الانفعالية في الحلم فأمرها أكثر تعقيدا ، فقد تخلفت حالة انفعالية معينة عن الظهور .. وكان المفروض أن تظهر عند وفاة حاكم القلعة ، أما عندما توهمت ظهور سفينة حربية فقد حدث الفرع ..

ويبدو لأول وهلة أن وفاة الحاكم لا تستدعى حزنا شديدا ، كما أن ظهور السفينة يستدعى الاضطراب والقلق ، ولكن المحير في المسألة أن الحاكم في الحلم لم يكن شخصا آخر سوى أنا !

ان حاكم القلعة في هذا الحلم هو بدلى أنا ، لاننى كنت قلقا في تلك الفترة على ما ستصير اليه أرملتى وأطفالى اذا مت في سن مبكرة ، وهى فكرة ليست جديدة بأن تحزننى ، وانما هى جديدة بأن تقلقنى وتفزعنى ، ولكن الحلم فصل انفعال الفرع من لحظة الموت الى لحظة ظهور البارجة المزعومة ..

وأما منظر ظهور السفينة الحربية ، فمصدره مصدر حقيقى لم يكن مقترنا بالفرع .. بل على العكس كان مقترنا بالسرور ، فقبل هذا الحلم بسنة تقريبا ، كنت

مع زوجتى وأولادى فى رحلة بمدينة البندقية ، وكان اليوم صافيا بديعا .. ووقفنسا فى الشرفة المطلّة على القناة المؤدية الى البحيرة الكبيرة ، وكان نشاط الناس فى هذا اليوم أكثر من المعتاد لانه كان من المقرر أن تزور مدينة البندقية بعض البوارج الانجليزية ..

وفجأة هتفت زوجتى فى جمل الاطفال :

— ها هى البارجة الانجليزية ! ..

ولكن الحلم نقل الى هذا المنظر البهيج حالة الفرع .. وهو دليل على أن الحلم يقوم بعمليات ابدال شديدة ، يفصل فيها الحالات الوجدانية عن المواقف الظاهرية .. أما موضوع ما سميته فى الحلم سفينة الافطار ، فانى عندما اتمعن فى هذا الجزء اذكر أن لون هذه السفينة المضحكة كان أسود قاتما ، وأن شكلها المضحك يشبه الصوانى الاثرية السوداء اللون التى رأيتها فى رحلاتى ، وكنا نحسبها تحمل فناجين للقهوة أو للشاي ، لشدة شبه هذه الاشياء بأدوات الافطار فى عصرنا الحديث ، ولكن الدليل أخبرنا أنها أدوات للزينة التى كانت تستخدم فى ذلك العهد السحيق

وعلى هذا الاساس ، تكون السفينة السوداء التى ظهرت بهذا الشكل هى أدوات زينة سوداء اللون ، أو بعبارة أخرى الزينة التى تستخدم فى الحداد — أو الحداد عموما — وهذا أيضا مرتبط بفكرة الموت ..

ومن جهة أخرى ترمز هذه السفينة السوداء الى السفن الجنائزية التى توجد فى الأساطير لحمل الجثث الى وادى العدم .. ولكن هذا أيضا له مصدر من الواقع ، ففى بعض رحلاتنا لم يعجبنا الطعام الذى يقدم على السفينة ، فاشترينا من البر اطعمة وآتبدة وتمتعنا

بافطار ممتاز على ظهر المركب شهدنا أننا قلما تمتعنا
بمثله



وأستمع القاريء في أن أذكر نموذجاً آخر من أحلامي
لابد أن يملأ ظاهره التصويرى نفس القاريء بالاشمئزاز
الشديد ، ولولا أن هذا الحلم ثمين جداً من حيث إقامة
البرهان على التناقض الشديد بين المضمون الوجداني
والصور الظاهرية في الحلم لما سمحت لنفسي أن أتمسك
بتسجيله هنا ، واليكم الحلم :

— رأيت ربوة فوقها دورة مياه في العراء ، وهي عبارة
عن مقعد مفرط في الطول .. وفي نهايته فجوة كبيرة ،
والخافة الخلفية منه عليها طبقات من البراز المتفاوت
الاشكال بعضه جاف وبعضه لين ، ومن خلف ذلك المقعد
مجموعة أشجار . أبداً أنا في التبول على ذلك المقعد فإذا
فيضان من البول يكتسح كل هذه الاقدار فتسقط في
الفوهة الا جانباً يسيراً منها ، ولم أشعر أثناء ذلك بأى
تقرز مما أرى أو أفعل ! ..

والسؤال الهام هو لماذا لم أشعر بالتقرز ؟

ومن هذا السؤال بدأ التحليل .. واتضح أن الحقائق
الكامنة لذلك الحلم ليس فيها — رغم ظاهرها القبيح —
ما يدعو الى الاشمئزاز ، بل ما يدعو الى السرور والزهو
أن هذه الكميات من البراز إنما هي إشارة الى ما
ورد في الاساطير اليونانية عن ثراء « أوغياس » حتى
ليقال أن مواشيه تكدست نفائاتها في الحظائر المترامية
بحيث عجز الناس عن تنظيفها .. ولم يقدر على ذلك
سوى سليل الآلهة « هرقل » !

وفي الحلم كنت أنا « هرقل » .. أما الربوة العالية

التي في قمتها الاشجار فهي المكان الذي كان يصطاف فيه افراد أسرتي عند ما رأيت ذلك الحلم ، وأما المقعد الطويل فما أشبهه بقطعة أثرية نفيسة أهدتني أياها إحدى مريضاتي أعرابا عن امتنانها لجهودي .. وفي ذلك إشارة الى ما أحاط به من التقدير والتكريم نظير جهودي بل ان دورة المياه المقامة فوق ربوة في العراء مصدرها الواقعي تلك المراحيض العامة التي يقيمها الإيطاليون بهذا الشكل في ضواحي بلادهم الصغيرة ، وكنت أحتفظ لإيطاليا دائما بأحسن الذكرى وأتوق لزيارتها في كل وقت ..

وأما الطوفان الجبار من البول الذي يكتسح كل شيء فهو تعبير عن منتهى العظمة والقوة .. فبهذه الوسيلة أطفأ « جاليفر » حريقا هائلا شب في بلاد الأقزام ، بل ان « جارجنتوا » العملاق الخرافي قد انتقم من أهل باريس في رواية « ربلية » العظيم بأن صعد فوق كاتدرائية النوتردام وأطلق خرطوما من البول على المدينة وأهلها والذكر بهذه المناسبة أنني عشية الحلم بالذات كنت ألقيت بعد ظهره محاضرة لي عن علاقة « الهستيريا » الى هذا أنني كلما ذهبت الى باريس كنت أتحين الفرص لزيارة كاتدرائية نوتردام وقضاء ساعة بين تماثيلها العجيبة

واليوم السابق لهذا الحلم كان يوما حارا جدا .. وقد ألقيت بعد ظهره محاضرة لي عن علاقة « الهستيريا » بالاضطرابات الجنسية ، ولم أكن راضيا على الإطلاق مما قلته ، لأنني كنت في حالة اعياء بحيث خيل الى أن كلامي كله في تلك المحاضرة كان متداعيا خاليا من القيمة ، وتمنيت لو استطعت التخلص من التنقيب في مصائب الناس ومتاعبهم وتقائصهم كي أقيم مع أطفالهم في

مصيفهم الجميل برهة أخف بعدها الى ربوع ايطاليا
الساحرة

خرجت وانا بهذا المزاج المنقبض من محاضرتي ،
وتوجهت الى مقهى اتناول فيه ما تيسر من الطعام ...
والواقع أن مزاجي لم يسمح لي بالاقبال على وجبتى
بشهية

ورآني في ذلك المقهى أحد من حضروا المحاضرة ،
فأقبل في حماسة - وعلى استحياء - واستأذنتني أن
يجلس الى مائدتي وأنا أشرب القهوة ، ثم أخذ يصب على
الثناء الشديد ، ويؤكد لي أنني اكتسحت ما كان في عقله
من رواسب الماضي المتعفنة ، وأني من أعظم الرجال في
العالم .. فهو بفضل ينظر الى الأمور بنظرة جديدة
تماما ..

وليس أدل على سوء مزاجي في تلك الليلة من أن
ذلك النشاء - المستطاب عادة - أثار عندي الضيق
والتقزز ، وسرعان ما تخلصت من هذا الشخص وذهبت
فورا الى منزلي ، وسليت نفسي بتصفح تلك الصفحة
المصورة من كتاب « ريليه » الخالد ..

ومن هنا نفدت الى الحلم أفكار ، الغرض منها تحقيق
رغبة العزاء لي عن الشعور بالفشل والخيبة في محاضرتي
بتقديم صور أسطورية ترضي « بارانويا » العظيمة المسرفة
بأكثر من وسيلة .. وامعانا في هذا التعويض ، حدث
إبدال قوى ، فشعرت بالزهو وسط كل المظاهر التي
تدعو الى التقزز

وأروى نموذجا آخر رواه بعض المؤلفين عن زوجة
أيقظت - وهي منزوعة - زوجها المسن لانه كان وهو نائم

يقهقه قهقهة عالية ، وروى الرجل الحلم التالى :

— رأيتنى راقدا فى فراشى ، والى جوارى زوجتى ،
عندما دخل رجل أعرفه ، وحاولت أن أوقد النور ،
ولكن الزر استعصى على ، وأعدت المحاولة بغير طائل
فقامت زوجتى وحاولت ولكن بدون فائدة أيضا ..
وأخيرا عادت مسرعة الى الفراش لخبئها من ثيابها
غير الملائمة أمام الضيف ، وقد جعلنى هذا كله أضحك
ضحكا عاليا ، وأخذت زوجتى فى الحلم تسألنى لماذا
أضحك فلا يزيدنى سؤالها إلا مزيدا فى الضحك الى أن
أيقظتنى .. وفى النهار التالى كنت أشعر بانقباض والم
فى الرأس مما جعلنى أرجح أن هذا الضحك الكثير قد
أرهقنى

والواقع أن مضمون الحلم ليس فيه ما يبهج القلب ،
فالرجل المعروف الذى دخل الحجرة هو رمز الموت ،
وكان الحالم المصاب بتصلب الشرايين قد فكر كثيرا فى
اليوم السابق فى أمر الموت ، وقام الحلم بقلب الانفعال من
الحزن والغم الى القهقهة ، وأما النور الذى عجز عن إيقاده
فهو شعلة الحياة

والمحاولات الفاشلة تعبير عما حاوله ذلك الحالم قبل
النوم من مضاجعة زوجته ، فباءت محاولته بالفشل
رغم أنها حاولت أن تساعد فى ذلك الأمر وهى نصف
عارية مما جعله قبل أن ينام مباشرة يحس أن شمس
حياته قد جنحت للمغيب .. فجاء الحلم وقلب هذا
الاحساس بالأسى والتكد الى الجانب المضحك

حالات انفعالية أخرى

ومن الاحلام ما يستحق أن يفرد له باب تحت عنوان
احلام النفاق ، وكان أول ما لفت نظري الى هذا النوع
من الاحلام ، هو حلم آتت به الزميلة الدكتور « هيلفر
دينج » كى ندرسه فى جمعيتنا العلمية للتحليل النفسى ،
وصاحب الحلم مؤلف نمسوى أورد حلمه ذاك فى قصة
له ؛

— ان نومي فى الغالب عميق ، ولكنه فى كثير من
الاحيان غير مريح ! .. لان أشباح متاعبى قبل أن أضع
قلمي على سلم الادب ظلت تلاحقنى سنوات طويلة ،
ولست أعنى بهذا اننى كنت أقضى ساعات النهار مفكرا
فى ذلك الماضى ، والاحلام التى كنت أراها فى الليل لم
تكن لتشتغل بالى كثيرا .. ولكنى بعد أن دخلت فى
زمرة أهل الثقافة صرت أراجع كل شئ وأعمل فيه
الفكر ، وصرت اضيق أنا المطلع الطموح بحرفتى حينذاك
وهى صانع فى دكان خياط ثياب .. فأتحسر على وضعى
هذا وعلى ما يضيع سدى من وقتى ، وكم حدثتني نفسى
أن أهجر هذه الحرفة الحقيرة ، وأمضى فى طلب عظمائم
الامور ، وكنت فى الليل أحلم أيضا بأنى أحاول التخلص
من وضعى المذل ، بل وكنت أحيانا أفlech فى ذلك .. الا
أن صاحب الورشة كان لا يهتم لما أصنع ويتجاهل
تصرفاتى فأجسدنى من جديد ألزم جواره وأعكف على
الحياكة والكى .. حتى اذا استيقظت شعرت بالراحة

من جو ذلك الحلم الثقيل ، وأصمم اذا تراءى لى حلم
من هذا النوع ألا أدع نفسى أشعر بالكرب ، وأن اتذكر
أن الحلم وهم وأتنى مستريح بين اغطية فراشى ، ولكن
ما أن يأتى اليوم التالى حتى يعاودنى الحلم ، وأجسد
نفسى مرة أخرى مكروبا بالعمل فى محل الخياط ، وقد
استمر هذا الحلم يعاودنى سنين طويلة وبمثابة مدهشة
.. ثم حلمت اننى مع معلمى فى بيت فلاح معين ذهبنا
اليه منذ سنوات فى أول التحاقى بالمهنة ، ورأيت فى
الحلم أيضا أن المعلم متأفف من طريقتى فى الحياة أكثر
من العادة ، حتى أنه سألنى متهمكا أين دماغى ونظر
الى نظرة شذراء .. فخطر لى أن أنسب ما أفعله هو أن
أقف وأصارحه أننى سوف لا أبقى معه ما دام غير راض
عنى ، ثم أتركه وأنصرف .. بيد أننى لم أفعل شيئا من
هذا القبيل ، والادهمى من ذلك أن المعلم نادى صانعا
آخر وأمرنى أن أتخلى له عن مقعدى .. فانصعت مدعنا
وذهبت الى الركن فانكششت فيه وانصرفت الى مواصلة
الحياة ، وبعد قليل ألحق معلمى بالعمل صانعا جديدا ذا
وجه تنكرى ، وهو بعينه ذلك الفجرى الذى ألحقه
بخدمته قبل ١٩ سنة وسقط فى النهر وهو عائد ، ووقف
الصانع الجديد ينظر فى المكان مفتشا عن موضع له ،
ونظرت أنا من الركن الى المعلم مستفسرا ، فقال لى :
- أنت لا تصلح لمهنة الحياة ، وفى وسعك أن ترحل ..
أنت مطرود ! .. فاستولى على ذعر شديد كان كافيا
لايقاظى من نومى .. ووجدت ضوء المصباح ينفلد من
الستائر الى حجرتى المعهودة ومن حولى تحفى الفنية ،
فهسا هى دواليب كتبى الزاخرة بأعمال هوميروس ،
ودانتى ، وشكسبير ، وجوته ... وكلهم من أعظم
الخالدين ، ومن الحجرة الأخرى تصل الى سمعى أصوات

ندية على القلب ، هي أصوات أطفالي يلهون مع والدتهم
يعابثونها وتعابثهم ، وكل شيء يشير الى أنه لم تعد لحياتي
الحاضرة صلة بتلك السنوات المكدودة ، سنوات عملي
في دكان الخياط ، ومع ذلك شعرت بالفيظ لاننى لم اكن
انا الذى استقلت من تلقاء نفسى في الحلم ، بل تراخيت
وتركت الفرصة لذلك المعلم الفظ كى يطردنى شر طردة
.. ولكن الاعجب من ذلك اننى بعد تلك الليلة المزعجة
التي حلمت فيها ان الخياط طردنى من خدمته شعرت
بالراحة ، فلم يعاودنى الحلم بأيام حرفتى القديمة ..
تلك الايام التي ابادر هنا احقاقا للحق ، فأقول انها كانت
رخية خالية من المسئوليات .. بيد انها ظلت تطاردنى في
المرحلة التالية من حياتى ، وتنشر الاضطراب والكدر
في منامى

ووجه الصعوبة في هذا الحلم انك لا تستطيع أن تحدد
بسهولة موضع الرغبة التي تحققها تلك الصور «الحلمية»
المتكررة وهي تلاحق أدبيا ناجحا بدأ حياته صانعا صغيرا
في محل خياط ، فان مجسده متحقق فعلا في حاضره
الواقعي .. فكيف نسمى هذا الكرب الذي يطارده في
النام تحقيق رغبة ؟

ولكنى استطعت بالرجوع الى تجربتى الشخصية ان
أتبين سر هذا النوع من الاحلام ، لاننى رأيت احلاما من
هذا القبيل .. فقد سبق لى أن عملت فترة طويلة في
بداية اشتغالى بالطب في معمل كيماوى ، فلم أظهر أى
تفوق وظللت خاملا ضئيل القدر ، الى أن تركت ذلك
العمل العقيم ، ولذا اتجنب التفكير ، وأنا يقظان ، في تلك
المرحلة من عمرى التي لا تليق بحياتى العلمية ، ولكننى
كثيرا ما كنت أحلم انى أشتغل في ذلك المعمل وأقوم
بالتحليلات بطريقة غير مرضية ، وأشعر بالمضاضة

واقوم من النوم وأنا متأفف فقيّد الصبر ..

وبعد تفكير في الامر ، لفت نظري أن تلك الاحلام تأتيني دائما بحيث أرى نفسي أقوم بتحليلات .. فكانت كلمة « تحليل » هي كلمة السر ، وكأنها تشير الى اننى اشتغل الآن أيضا بالتحليل ، وأصل فيه الى نجاح كبير، وأظهر بالتكريم والتقدير .. ولكن التحليلات اليوم هي التحليلات النفسية ..

فكان أحلامي تلك تأتي جوابا على ما يخامرني من الزهو لنجاحي في التحليل النفسي ، فتذكرني في منامي بتلك التحليلات التي فشلت فيها في مستقبل عمري .. وهكذا يكون الحلم نوعا من العقاب على الزهو وتذكير للمختال بنجاحه الطريف بأن له ماضيا لا يشرفه كثيرا ، فأولى به ثم أولى أن يتواضع قليلا .. وهذا هو ما حدث للاديب المشهور ، فحلمه يذكره بما كان من أمره في صدر شبابه اذ عمل صبيا في محل خياط ..

ولكن المشكلة هي لماذا يسمح الحلم للنقد المؤلم أن يظهر بهذه الصورة ؟ وهل يمكن أن يسمى هذا التبكيت نوعا من تحقيق الرغبة ؟ ..

كى نفهم مثل هذا الحلم المشكل ، علينا أن نتذكر أن نفوسنا تحتوى على نزعات « ماسوكية » وربما أدت الى مثل هذا التعذيب ، فان « الماسوكية » هي التسلذ بتعذيب الذات ، ولذلك قد يفرد البعض لهذا النوع من الاحلام عنوانا يختلف عن تحقيق الرغبة ، فيسمونها أحلام العقاب ، وان كنت أنا شخصا لا أرى تناقضا بين الاسمين .. لاننى أعتقد أن الشيء وضده يلتقيان بكل سهولة ويسر ، ففي عالم النفس الانسانية لا وجود لصفة مطلقة

وبهذه المناسبة أذكر أنني رأيت نفسي في أحد تلك
الأحلام « التيكيتية » شاباً سدت في وجهه أبواب العمل،
ولا أعرف كيف أحصل على الرزق .. ولكنى في الوقت
نفسه حلمت أنني أعزب والفتيات يتمنين أن أختسار
أحدهن زوجة لى ، وكان من بين الفتيات زوجتى الحالية
وقد ارتدت شابة ، وهذا يشى بالباعث على ذلك الحلم ،
وهو الباعث الذى يخامر كل رجل انقضت فترة شبابه ،
فهو يتمنى لو عاد إلى صباه وصادفته نفس المتاعب ،
وليس من النادر أن يقول من فى مثل حالى وسنى :

— الحمد لله .. فكل شيء اليوم على خير ما يرام ، لقد
انتهينا من مجابهة الصعاب والكفاح الشاق ، ولكن
ما كان أجمل أيام ذلك الكفاح حين كان المرء شاباً



وليس من النادر أن يرى الإنسان فى الحلم نفسه ، وقد
تصافى مع من خاصهم منذ سنوات وراجع جبل الود ،
وهذا أيضاً يندرج تحت أحلام النفاق ، ولكنى أرى
ذلك من الأمور المألوفة التى لا تثير مشكلة ، وأفضل أن
أعود إلى الحلم الأغرب الذى رأيت فيه الشيخ « بروكيه »
يكلفنى بأن أجهز للتشريح حوضى وساقى ..

وأذكر أنني فى هذا الحلم لم أشعر بالدهشة ولا الألم
ولا الارتياح ، وأذكر الآن أن الحلم كان يرمز إلى تحقيق
رغبة .. لانى كنت مهتماً بإجراء مهمة عسيرة جداً هى
أن أحلل نفسى بنفسى توطئة لنشر كتابى هذا ،
وكان قيامى بتلك العملية باصرار ، بسبب لى آلاما
ومضايقات كثيرة حتى أنني أرجأت أكثر من مرة نشر
النسخة الأولى من كتابى هذا بعد أن فرغت منه ..

ولسكنى كنت أقاوم عواطفى وأمضى فى عملى ، ولذا لم
أشعر فى الحلم بالارتياح أو الفزع

وهذا حرى أن يسوقنا الى القول بأن الحالات الوجدانية
فى الحلم ربما صدرت عن رغبة لا شعورية مكتومة أو عن
دافع أخلاقى . فان كل مصدر قادر على توليد الانفعال
فى الحياة العادية فهو صالح أيضا لتوليد الانفعال أثناء
النوم ..

وأحب أن أنبه هنا الى أن تفسير الانسان لأحلامه
ليس بالعمل الهين ، بل يحتاج الى حزم ونزاهة شديدين
.. فقد يصل الانسان من تفسير حلمه الى أنه فى بعض
مواقف الحلم كان منحطا أنانيا خسيس الخلق والطباع



لماذا نسي أحلامنا ؟

هناك حلم روته لى إحدى مريضاتى ، ولست أعرف بالضبط من الذى رأى هذا الحلم . . لان مريضتى سمعته من السنة البعض، بيد أن هذا الحلم أثار اهتمامى ، ولهذا أرى من المناسب أن أرويه فى هذا المقام :

— مرض ابن أحمد الاشخاص فلزم الأب فراش وحيد لا يبرحه أياما طويلة ، الى أن مات الطفل . . وكان الأعياء قد نال من الأب ، فأحضر رجلا مسنا كي يسهر بجوار الجثمان — كما هى التقاليد — بعد أن أضيئت من حوله الشموع ، وتعهد الرجل المسن أن يظل ساهرا طوال الليل يردد الأدعية ، وانتقل الأب الى حجرته التى يصل بينها وبين حجرة المتوفى باب مفتوح ، ورقد على فراشه التماسا لشيء من الراحة ، وفى وسعه اذا فتح عينيه أن يرى ما يجرى فى الحجرة الأخرى ، وغلب النعاس الأب ، فنام قليلا ورأى فى منامه ابنه المتوفى واقفا أمامه يهز ذراعه ويقول له :

— ألا ترى يا أبى أتى أحترق ؟ . . واستيقظ الأب مدعورا ، فوجد النار مندلعة فى الحجرة الأخرى . . . فأسرع الى هناك ليجد الرجل المسن قد غلبه النوم ، وامتدت النار من إحدى الشموع فاندلعت فى غطاء الفراش ، واشتعلت فى أحد ذراعى الجثة

وفى اعتقاده أن النار التى اندلعت قد نفذت بوهجها

الى شبكية عين الاب وهو نائم ، فصور له الحلم ما حدث
بهذه الصورة الخيالية .. بل واعتقد أيضا أن العبارة
التي نطق بها الابن في الحلم لابد أن تكون مستمدة من
احدى عبارات الطفل الحقيقية في موقف آخر ..
ولكن لماذا صور الحلم عملية اشتعال النار بهذه
الصورة بالذات ؟ ..

انها سياسة تحقيق الرغبة مرة أخرى .. فهذا
الحلم يحقق أمنية للحالم ، مؤداها أن ابنه لم يزل على
قيد الحياة ..



ولا يمكن ان يغفل في دراسة الاحلام جانبا هاما جدا ،
هو أننا ننسى القسم الاكبر من احلامنا بمجرد اليقظة ..
وحتى الاحلام التي نذكرها عند اليقظة تظل تتناقص في
الوضوح شيئا فشيئا مع تقدم ساعات النهار ..
فلماذا ننسى احلامنا ؟ ..

ان الجزء الذي نذكره من احلامنا هزيل ضئيل في
الغالب ، وعلى هذا الجزء دون غيره ، نصب قدرتنا على
التفسير .. وليس ما يضمن لنا أن ذاكرتنا لم تخدمنا ،
أو أنه مفكك كما يخیل الينا ، فما الذي يدرينا أن الحلم
لم يكن أكثر تكاملاً وخالياً من الثغرة ؟ .. بل ما الذي
يدرينا أن العقل ، وهو يروى الحلم ، لم يحاول ملء هذه
الثغرات بمعلومات جديدة لم يكن لها في الحلم أثر ، لان
العقل ينكر الفراغ ويحاول أن يجمع الشتات في كل
مؤتلف ؟ فان من المؤلفين من يعتقدون أن الحلم يرد على
أذهاننا مفككا ، وأن جميع الروابط انما هي من فصل
الذهن الواعي ..

كل هذه مسائل جدية بالاعتبار الدقيق لانها تؤثر

تأثيرا بعيدا في قيمة الموضوع الذي ندرسه ، ونستطيع
إذا راجعنا كل تحليل قمنا به بحلم من الاحلام ان نجد
تفاصيل صغيرة لها أهمية كبيرة في الوصول الى المضمون
الخفى للحلم ، وانه لولا هذه التفاصيل الصغيرة لما
وصلنا الى شيء اطلاقا

اننى اعتقد ان العوامل التى تتسبب في نسيان جزء
من أجزاء الحلم عند تسجيله ، فور اليقظة ، انما هى
عوامل إجديرة بالدراسة النفسية ، وقد يكون لها تأثير
في الحلم ومضمونه أهم بكثير من تأثير العناصر التى لم
يطرأ عليها النسيان

وقد استفدت من استغلال هذه الناحية فوائد ذات
بال ، فانى حين أجد الحلم الذى سجله مريضى ، أو أملاه
على ، فامضا في بعض المواضع اطلب من المريض ان يعيد
روايته ، وسأجد انه ينسى بعض المواضع أو لا يهتم بها ،
فأعتبر هذه المواضع ذات أهمية خاصة لانها تكون أكثر
تعرضا للرقابة .. وكأن الحالم يحس ان هذه المواضع
بالذات يكمن فيها خطر افتضاح سره ، فيعمد الى
مواراتها عن عين المحلل أو بصيرته .. فأتشبت أنا بهذه
المواضع ، وأعتبرها بداية الخيط المفضى الى السر

ولا أطبق هذه القاعدة على المواضع النسبية فحسب ،
بل على كل موضع أجد ان الحالم عند الاعادة يرويه
بعبارة أكثر غموضا ، وكأنه يرمى الى الابهام والتعمية
.. وعلى قدر المجهود الذى يبذل للتضليل أدرك أهمية
الوطن بالنسبة للسر

وأما تخوف بعض المؤلفين من الاعتماد على الذاكرة
فيما يختص بالاحلام ، فهو في رأى أمر مبالغ فيه ..
فذاكرتنا اليوم على العموم ليس هناك ما يضمن صوابها
سواء وهى تروى ما يحدث في الحلم أو ما يحدث في

اليقظة ، ولكننا بفطرتنا نعتمد على الذاكرة ولا نجد في ذلك حرجا ..

وإذا كنا نرتاب أحيانا في أن تكون رواية الذاكرة للحلم محرفة ، فهذا الارتباب بدوره مرجعه إلى الدور الذي تقوم به الرقابة الشعورية بالنسبة للأحلام .. فهذه الرقابة تمنع ما تستطيع منعه من مادة اللاشعور حتى لا يطفو إلى دائرة الشعور ، وما ينفذ من رقابتها ويفلت - ولو متنكرا - تحاول الرقابة أن تحتجزه من الذاكرة ، وبهذا يكون النسيان ، أو التغير عند التذكر ، عملية مشابهة لعملية التشويه نفسها

وينبنى على هذا أن الموضع الذي يطفى عليه النسيان - عند إعادة الرواية - إنما يكون عنصرا وثيق الصلة بالمضمون الخفى أو المادة الممنوعة ..

إن إحدى قواعد التحليل النفسى الأساسية هي أن كل مقاومة نتيجة فكرة ممنوعة مستترة في اللاشعور يحاول الرقيب أن يبقيا مستترة ، وليس من الضروري أن تكون هذه المقاومة سافرة ، بل إن كل ما من شأنه أن يعطل التحليل أو يضلله يجب أن يعتبر نوعا من أنواع المقاومة ..

ونسيان الأحلام - بجميع درجاته - إنما هو من قبيل التعطيل أو التضليل أى المقاومة ، وهذا النسيان مسألة غير مفهومة ، ما لم نربط بينه وبين الرقابة الشعورية ، ومن أقوى الدلائل على ذلك أن المثابرة على التحليل تؤدي في الغالب إلى تذكر ما يخيل إلينا أننا نسيناه من أجزاء الحلم ، وذلك عمل لا أتكر أنه شاق ، ويحتاج إلى مهارة ودراية وصبر ..

ولعل من المناسب أن أروى هنا حلما أوردته في كتاب

آخر من كتبي . فقد أمكن تفسير هذا الحلم رغم ما اكتنفه من غموض بسبب النسيان :

— كنت أعالج مريضة كثيرة الحذر والشكوك ، واتفق لها أن حلمت حلما طويلا لم تذكر منه إلا أن شخصا ما حدثها عن كتابي في الفكاهة وقرظه تقريظا شديدا . ثم عرض الحلم لموضوع « قناة » . . لم تتبين بالضبط أى « قناة » هى ، ولكن يبدو أن ذكرها جاء فى كتاب آخر من كتبي تعرض له الحلم ، بيد أنها ليست متأكدة لأن الموضوع كان يكتنفه الغموض . .

وكان المنتظر ألا يسفر موضوع هذه « القناة » المهمة عن أى تفسير . لأنها منقطعة الصلة ببقية أجزاء الحلم . والحقيقة أن المهمة صعبة ، ومصدر الصعوبة أن ذهن المريضة خال من أى شيء فيما يتعلق بموضوع القنوات ، وانقضى يوم ، وفى الجلسة التالية قالت لى المريضة أنها استطاعت أن تتذكر شيئا له علاقة بالقنوات ، وهو نادرة كانت قد رويت على مسمع منها . فقد قيل أن سفينة كانت تعمل على الخط عبر القنال الانجليزى أو بحر المانش فيما بين دوفر وكاليه . . وعلى سطح هذه السفينة التقى أديب مشهور مع مسافر انجليزى ، واثناء الحديث قال المؤلف نكتة يستفاد منها أن فرنسا رائعة وأن انجلترا سخيصة ومبتذلة ، وأن الفارق بين الروعة والابتذال مجرد قناة !

وربما خيل للبعض أن ذكر القناة فى هذا السياق لا يفيد فى التفسير ، ولكنى بالعكس أراه بداية خيط مفيد للغاية ، ومن هذه البداية . بدأت أفتش عن المضمون الكامن لحلم تلك السيدة . .

وكثيرا ما يحدث أن نشرع فى التحليل والتفسير ، وإذا

بالحالم في منتصف الطريق يستوقفنا وقد انبثق في ذهنه فجأة جزء من حلم كان قد نسيه في البداية ، ويتضح فيما بعد أنه كان من صميم لباب الحلم .. ولذا انصببت عليه مقاومة أشد مما انصب على بقية الاجزاء ..

وكثيرا ما مر بي في خبرتي ما يثبت أن نسيان الاحلام مرتبط بقوة المقاومة الشعورية ، ومثال ذلك أن يقول لي المريض :

— لقد رأيت بالأمس حلما بينما أتى نسيته تمام النسيان .. وليس في ذهني منه أى أثر ..

ومعنى هذا أنه في موقف كمن لم ير ذلك الحلم إطلاقا ، فأتذكر موضوع الحلم وأمضى معه في التحليل بعيدا عنه .. فأجد منه مقاومة في بعض المواضع فأشجعه كي يتغلب على تلك المقاومة ، وما أن يفلح في ذلك حتى يهتف :

— وهأنذا أيضا قد تذكرت الآن حلمي !

ومعنى هذا أن نفس المقاومة التي أنسته الحلم هي التي عرقلت التحليل منذ قليل ، فلما فهر هذه المقاومة بالنسبة للتحليل انهارت أيضا بالنسبة للحلم ، فتذكره بوضوح

وليس من النادر أيضا أن أستمّر في جلسات التحليل مع أحد الأشخاص .. ومتى أحرزت معه شيئا من التقدم ، تذكر فجأة حلما رآه قبل أيام وكان قد نسيه فور استيقاظه تمام النسيان ..

بل كثيرا ما يحدث أن أرى حلما في الليل ، فأستيقظ في منتصف الليل وأنا أذكر الحلم تماما ، وأحرص على ألا أنام ثانية قبل أن أفسر الحلم تفسيراً كاملاً ، وأوفق الى ذلك فعلا ، ثم أنام ثانية .. وإذا بي أستيقظ في الصباح،

فأجد أنني نسيت الحلم تمام النسيان ونسيت معه
التفسير الذي فسرته ، ولا أذكر سوى أنني رأيت حلما ۞
وأننى قمت بتفسير ذلك الحلم ، هذا مع أن ما بدلته من
نشاط ذهنى فى التفسير ليس جزءا من المنام بحيث
نستهين بدلالة نسيانه ، كما يؤثر بعض المؤلفين أن يفعلوا



الفصل السابع

أناليس تحقيق الرغبة • هامم نموذجي



أساليب تحقيق الرغبة

ما من شك أن نظريتنا القائلة بأن الحلم إنما يرمى في خاتمة كل مطاف الى تحقيق رغبة نظرية تقابل بصعوبات كثيرة تستحق منا أن نعالجها بامعان ..

والحلم الذى أوردناه فيما سبق عن الطفل الميت الذى اشتعلت فيه النار ، إنما هو نموذج حسن لدراسة أوجه الاعتراض على نظريتنا ..

وانه لما يشير الدهشة بلا شك أن يقال فى البداية أن ذلك الحلم أيضا لا يعدو أن يكون هدفه الباطن تحقيق رغبة ، وإذا رجعنا الى تعريف «أرسطو» للحلم ، وجدناه يقول على طريقته المشهورة أن الحلم هو تفكير الإنسان النائم من حيث هو نائم ..

والآن لنا أن نتساءل : أن عقلنا فى فترة اليقظة يقوم بعمليات كثيرة شديدة التنوع ، منها الاستنتاج ، ومنها الاستقرار ، ومنها الأقرار ، ومنها النفى ، وغير ذلك . فلماذا يتقلص هذا النشاط كله أثناء النوم ، ولا يبقى مجال إلا لنوع واحد هو تحقيق الرغبة ؟ ..

وبماذا تفسر تلك الأحلام الكثيرة التى تصور لنا أنواعا متباينة من النشاط النفسى ، من قبيل الخوف أو القلق ؟ .. بل بماذا تفسر حلم الطفل الميت الذى شبت فيه النار ؟ .. ألسنا نقول أن وهج النار سطع من الباب المفتوح الى جفنى الأب النائم فتولد لديه قلق جعله

يتصور أن إحدى الشموع سقطت من موضعها ، وأنه
لعلها قد اشتعلت في أغشية الفراش ، وتولى الحلم اخراج
موقف بذلك المعنى يتخذ الابن أداة للشكوى ۞

كيف يمكن أن نسمى هذا الموقف تحقيق رغبة ؟ ..
ليس الأولى أن نسمى هذا نشاطا ذهنيا من نوع نشاط
اليقظة ، وإن نقول أن النشاط الذهني أثناء النوم
والحلم إنما هو امتداد لأنواع ذلك النشاط التي نمارسها
في النهار ۞ ..

وذلك كله جرى أن يلزمنا بتعمق معاني تحقيق الرغبة
وأساليب ذلك التحقيق وصلتها بما لا فكار اليقظة من
آثار وذيول أثناء النوم

والاحلام على هذا الأساس نوعان : نوع يتضح منه
بلا خفاء أن الغرض هو تحقيق رغبة ، والنوع الآخر
يتخفى فيه تحقيق الرغبة جهد التخفى وبشتى وسائل
التقنع ۞ وفي هذا النوع يكون تأثير الرقابة الشعورية كبيرا
والنوع الأول له أمثلة وشواهد كثيرة من أحلام
الأطفال كما ذكرنا فيما سبق ، ويمكننا أن نتساءل عن
منشأ الرغبات التي يحققها الحلم ..

والرأى عندي أن هذه الرغبات لها ثلاثة مصادر :

١ - رغبة من رغبات اليقظة حالت الظروف دون
اشباعها أثناء النهار ، ومعنى هذا أن ۞ تركة ۞ ذلك
النهار التي آلت الى الليل والنوم تحتوى على رغبة
صريحة تحتاج الى اشباع

٢ - رغبة من رغبات النهار رفضت أو كبنته ، وبذلك
تظل في الحساب الختامي لذلك النهار لا باعتبار أنها
تحتاج الى اشباع بل باعتبار أنها لا تستحق الاشباع

٣ - رغبة لم تظهر في النهار ۞ ولكنها من النوع الذي

يساورنا في الليل لانها من النوع المتفق على انه غير مشروع

فاذا كان لدينا في « جهازنا النفسى » ثلاث طبقات هى : الشعور أو الوعى ، ومن تحته ما قبل الشعور ، ومن تحت ما قبل الشعور اللاشعور .. فاننا نستطيع أن نحدد مواضع تلك الانواع الثلاثة ، فنجد أن النوع الاول من الرغبات يستبقى فيما قبل الشعور حيث نبتت ، أما النوع الثانى من تلك الرغبات ، فانها تنبت فيما قبل الشعور ولكنها تنبذ وتنفى الى اللاشعور ، وأما النوع الثالث من تلك الرغبات فتنبت في اللاشعور ولا تخرج عن دائرته

وقد آن لنا أن نسأل : هل لهذه الرغبات الثلاث نفس القوة في تكوين الأحلام ؟

ويخيل الى أنه يلحق بالمصادر الثلاثة السالفة الذكر مصدر رابع هو الاحتياجات الحيوية التى تظهر اثناء الليل مثل الشعور بالعطش أو الجوع أو البرد أو غير ذلك ..

وفي اعتقادى أن مصدر الرغبة ليس له شأن بقدرتها على أحداث الحلم .. وللبهنة على ذلك ، سنستعيد في مخيلتنا الصورة العامة لنماذج الأحلام التى أوردناها في الصفحات السابقة

ان الاطفال الذين يركبون الزورق لعبور البحيرة في النهار ، وتطيب لهم الرحلة ، يطلبون من أمهم تكرارها ، فتأبى عليهم ذلك وتستمهلهم الى يوم آخر .. فرغبتهم لم تتحقق ، ولم تكبت أو تقمع ، بل تأجلت ، ومع ذلك فمنهم من يحلم في تلك الليلة أن رغبته تحققت على صورة نزهة طويلة في الزورق

هناك الرغبات التى تكبح أو تكبت اثناء النهار ، قد

أوردنا عليها من الاحلام امثلة كثيرة .. وأضيف اليها نموذجاً شديداً الوضوح ، وهو أن سيدة تتمتع بموهبة اللسان السليط كانت لها صاحبة أصغر منها تزوجت .. فظلت السيدة السليطة مشغولة بأشباع فضول المعارف الذين يسألونها عن خطيب صديقتها ، وعن رأيها فيه ، فتجيبهم بالثناء الخالص على شمائله وصفاته ، وتكبت رغبتها في التعريض به صراحة لأن رأيها فيه أنه نسخة من أنداده « أو » نمرة « أو » رقم « لا يميزه عن سواه من الشبان أى مميز حاسم

فلما أوت هذه السيدة الى فراشها فى الليل ، حلمت ان الناس يعيدون عليها أسئلتهم . وانها كانت تجيبهم بالصيغة المحفوظة التى تطبع على المكاتبات التجارية والمكتبية ، وهى :

— يكتفى بذكر الرقم عند الرد ..

وهو الماع كاف الى حقيقة رأيها فى ذلك الشاب « وهو الماع لم يصل الى حد التصريح لأن كبت الرغبة فى النهار زج بها الى اللاشعور فلم تستطع الخروج منه الا متنكرة تحت هذا القناع كى تفلت من سلطان الرقيب الشعورى

ومن هذا ندرج أن لجميع الرغبات قوة واحدة على احداث الاحلام .. وكل ما هناك من تفاوت بينها هو فى الصراحة أو التنكر أو التشويه على حسب مدى خضوع مصدر الرغبة لسلطان الرقيب .. فما ينبع من اللاشعور يخضع للرقيب كل الخضوع « وما لا ينبع من اللاشعور أى ينبع مما قبل الشعور لا يخضع للرقيب ذلك الخضوع ولكن لابد هنا أن نوضح نقطة دقيقة بعض الشيء ، هى الفرق بين رغبات الاطفال ورغبات البالغين .. فالطفل حين يحال بينه وبين رغبته بالتأجيل مثلاً أو

الارضاء من غير قمع أو نبذ ، يحلم غالبا في الليل بتحقيق تلك الرغبة تحقيقا فوريا ، أما الشخص البالغ فمن النادر أن يحلم بتحقيق رغبته التي حالت دونها الظروف في فترة النهار ، لأن قوة تعلق الطفل برغباته شديدة جدا ليست تدانيها شدة تعلق البالغ برغباته .. وذلك لأن الطفل لا يعترف أو لا يقتنع بأهمية الظروف التي تحول دون تحقيق رغباته فورا ، فيأتي الحائل من خارج تكوينه النفسي ، فليس يشغل تكوينه النفسي شيء سوى رغبته الشديدة ، أما البالغ فكلما تقدم في النضوج كان معنى ذلك ازدياد ادراكه وفهمه واقتناعه بالظروف الخارجية ، فيكون الارضاء أو يكون الحائل دون تحقيق الرغبة نتيجة اقتناع من داخل تكوينه النفسي ، وهذا الاقتناع يحد بطبيعة الحال من شدة الرغبة ، وقد يصل في اضعافها الى ما يشبه الالغاء من غير مقاومة تعقب صراعا ..

وانا لا انكر أن البعض يكبرون في السن ، وتبقى لديهم سمات طفلية في بعض النواحي وبخصوص بعض الرغبات فيتشبهون بأشياء معينة يرى سواهم أنها لا تستحق كل ذلك التعلق المفرط أو المطلق

ورغم هذه الفروق الفردية بين الأشخاص الكبار أو البالغين ، فاني أعتقد عموما أن الرغبة التي لم تسمح الظروف بأشباعها نهارا لا تظل لدى البالغ شديدة الفاعلية بحيث تحتاج حتما الى حلم يتيح لها الأشباع في الليل .. ولكني في الوقت نفسه أبادر فأعترف بأن بقايا تلك الرغبة قد تكون لها مساهمة ثانوية أو جانبية في أحداث الحلم ، فهذه الرغبة النابعة مما قبل الشعور لا تكفي وحدها لأحداث ما نسميه حلما ، بل لابد من عوامل أخرى لدى البالغين تتآزر مع الرغبة

أجل أن ما قبل الشعور ليس هو المصدر الأساسي لموضوعات الأحلام ، فذلك المصدر في رأيي هو اللاشعور ومعنى هذا أن الرغبات الشعورية التي استبقيت فيما قبل الشعور لا تحدث خلما إلا إذا استثارت لمؤازرتها رغبة مشابهة لها كامنة في اللاشعور ..

ومن دراستي للرغبات اللاشعورية أثناء علاج المرضى بأمراض عصبية ، أستطيع القول بأن هذا النوع من الرغبات متحفز باستمرار للخروج من دائرة اللاشعور عند أول فرصة سانحة ، وهذا التحفز يعطيها قوة اندفاع ضخمة ، وهي مستعدة أن تعبر قوتها لطيفتها الرغبة الشعورية بحيث تتقنع متكررة في ثياب الرغبة الشعورية فما أشبه الرغبات الشعورية بالشياطين المحبوسة في القمام في أعماق البحر .. قد تظل مطمورة هناك أمدا طويلا جدا ، ولكنها لا تموت ، وعند أتفه الفرص ، نجدها نفدت الى الخارج بكل جبروت المعالقة المأثور عنها ..

وهذا يسوقنا الى تعبير آخر هو أن كل رغبة تتحقق في الحلم إنما هي في أساسها رغبة طفلية ، وهذه الرغبة تكون في مرحلة الطفولة صادرة عما قبل الشعور ، لأن ما قبل الشعور كاف كما ذكرنا لأحداث الأحلام لديهم ، أما عند البالغين فتكون هذه الرغبات قد تحولت الى اللاشعور وطمرت فيه بحيث تستثيرها رغبات حديثة عارضة

وليس جميع الناس سواسية في قدرتهم على إيقاف نشاطهم الفكري أثناء اليقظة .. فمن يستطيع ذلك الإيقاف هو أحسن الناس نوما ، ولعل نابليون بونابرت هو خير مثال وعاء التاريخ لأولئك المعشازين في أجادة النوم ، ولكن سواد الناس لا يوقفون إهتمامات النهار

تمام الايقاف حينما ينامون ■ فتظل الهموم والرغبات التي لم تتحقق والمشكلات التي لم تحل مهيمنة على أذهاننا بعد النوم عن طريق ما قبل الشعور ، وكل هذه منبهات ومثيرات يمكن أن تقسمها الى الانواع الآتية :

- ١ - ما حالت الظروف العارضة دون نجاحه
 - ٢ - ما حجز تفكيرنا عن ايجاد حل له
 - ٣ - ما استبعدناه أو كففناه بإرادتنا
 - ٤ - نزعات لا شعورية أثارها ما قبل الشعور
- - خواطر تافهة رفض العقل أن يشغل نفسه بها كي يصل بها الى قرار واضح

وأى نوع من هذه الانواع المتبقية من النشاط الذهني في النهار قد يظل ناشطا أثناء النوم يعمل بجهد كى يأخذ مداه .. ولكنه لا يستطيع ذلك على المستوى الشعورى المؤلف في اليقظة ، فلا يكون أمامه الا المستوى قبل الشعورى ■ ففي هذا المستوى تتجمع الرغبات ذات التاريخ الشعورى المكفوف في النهار وتستعين بالرغبات الشعورية كى تستعيد حيويتها في احداث حلم يكفل لها ما حرمته من التحقيق

والآن نريد أن نعرف ماذا يفعل الحلم حين تكون هذه المشاغل المتبقية من النهار ذات طابع مقلق مؤلم مما يجعل مادتها غير متفقة مع سياسة تحقيق الرغبات .. ان الحلم في هذه الحالة يلجأ الى احدى طريقتين :

- ١ - يغير الحلم الافكار المؤلة والمزعجة بأن يجرد صورها من الحالة الانفعالية الطبيعية المقترنة بها ، فتأتى مناظر الحلم وكأنها اشباع كامل للرغبة لا يحتاج الى توضيح
- ٢ - لا يتمكن الحلم من تغيير الاشكال المؤلة لشدتها كل التغيير بحيث تبقى لها في الحلم آثار واضحة ■ وفي هذه

الحالة تنشأ صعوبة كبيرة في التسليم بأن الحلم تحقيق
رغبة ، لان المضمون المؤلم للحلم أوضح من أن ينكر ، وقد
يشعر الحالم بالآلم مقترنا بالصورة المؤلمة الى حد الارتياح ،
وفي احيان أخرى تكون الصورة المؤلمة مقترنة بشعور محايد
خال من الآلم أو السرور ..

والاحلام التى من النوع الاخير هى أيضا فى رايانا احلام
تحقيق رغبة .. فمن الرغبات اللاشعورية ما لا يمكن
اشباعه عن طريق آلام مبرحة يستعيرها اللاشعور من
آثار افكار ذلك النهار المقلقة أو الموجعة القائمة فيما قبل
الشعور أو بضريبة يؤديها من الشعور بالندم أو الاستياء
لتحقق رغبة ممنوعة مما يجعل نفس الحالم ميدان صراع
بين قوى اللذة المحرمة وقوة الرقابة الصارمة

ومن المناسب أن نضيف الى الاحلام التى تحقق
رغبة ، نوعا آخر اعترفنا به فى الصفحة السابقة وهو
احلام العقاب ، وان كان البعض يظنون هذا النوع ناقضا
لنظرية تحقيق الرغبة ، فقد يكون مضمون الرغبة المكبوتة
هو انزال العقاب بنفس الحالم لشعوره باثم معين

ولكن الرقيب الذى يطالب بالعقاب مرتبط بالشعور،
وهذا كفىل أن يجرنا الى القول بأن الشعور ليس معزولا
فى جميع الاحوال عن تكوين الحلم .. وهو قول غير دقيق
ان التضاد بين الرقيب والشيء المكبوت ليس بالضبط
هو التقابل بين الشعور واللاشعور ..

ان الافضل ان نقول ان قوة « الانية » التى تشمل
الشعور واللاشعور معا هى التى تستخدم الرقيب
حارسا على الاشياء المكبوتة حتى لا تخرج من معتقلها ،
فيكون التقابل فى حالة احلام العقاب بين الأنا والشيء
المكبوت ، بحيث تكون رغبة العقاب رغبة صادرة عما قبل
الشعور وسببها « الانية » العليا للشخص ..

حلم نموذجى

وأجد من المناسب أن أضع أمام أنظار القارئء حلما لى يتبين منه مشاغل النهار فى صور الحلم :

— فى بداية الحلم أخطر زوجتى أن لدى نيا خصوصيا جدا سيدخل السرور عليها ، فتفرع وتأبى أن تصفى .. فأعود الى القول أن النبا سار ، وأشرع فى الادلاء به ، فأبلغها أن الوحدة التى ينتمى اليها ولدنا فى الجيش بعثت بمبلغ ما ، لعله خمسة آلاف كراون .. ويتلو ذلك شيء عن نوط للجدارة .. وأجد نفسى صحت زوجتى الى حجرة أخرى صغيرة بها أشياء مخزونة ، فنفتش هناك عن شيء ما ، وأرى ابنى فجأة .. فاذا به ليس فى زيه العسكرى بل فى زى رياضى ملتصق بجسمه كأنه سبع البحر ، ويصعد فوق صندوق بجوار دولاب ، كمن يريد أن يضع فوقه شيئا ، وأناديه فلا يرد ، ويخيل الى أن على وجهه أو جبينه أربطة ، ويرفع شيئا الى فمه ، وقد ظهرت فى شعره بوادر مشيب ، واتساءل وأنا فى الحلم : هل وصل به الاعياء الى هذا الحد ؟ .. هل فى فمه أسنان صناعية ؟ .. وأهم أن أناديه مرة أخرى ، ولكنى استيقظ قبل ذلك وأنا لا أحس فزعا أو رعبا ، وان كان قلبى يدق بسرعة .. وأنظر فى الساعة فأجدها تشير الى منتصف الثالثة صباحا ..

وقد سبقت هذا الحلم احساسات بالقلق فى اليوم السابق ، لان ابننا الموجود فى خط النار كان قد انقطعت

رسائله وأخباره منذ أسبوع أو أكثر ، ومن الواضح أن الحلم يتضمن إشارة الى احتمال أن يكون قد جرح أو قتل ..

وفي الجزء الاول من هذا الحلم ، تلمس اتجاهها واضحا لتبديل العناصر المؤلمة بعناصر مضادة لها .. فأقول لزوجتي أن عندي أنباء سارة تتعلق بوصول مبلغ من النقود ونوط للجدارة ، بيد أن هذه المحاولات كلها باءت بالفشل .. فها هي زوجتي تشعر لأول وهلة أن أنبائي المفرحة إنما هي أخبار تشفق من سماعها ، وتحاول ألا تسمع ما أقول .. فكأن التنكر الذي اتخذته حقيقة النبا كان شفافا بحيث يشي بالحقيقة الموهمة ! فان وفاة الضابط المحارب هو الذي يقترن بارسال متروكاته الى أسرته ، وأما نوط الجدارة ، فيمنع عادة لمن يستشهدون في ساحة الشرف .. وهذه كلها دلائل تفضح الواقع المكروه ! ..

ولم يستطع تحقيق الرغبة في هذا الجزء من الحلم الا القيام بمحاولات هزيلة لابدال القلق بعكسه ، وان كنت لا أدري بالضبط ما الذي منح أفكارى السوداء وقلقى في النهار كل تلك القدرة على الاعراب عن نفسها أثناء النوم وفي الجزء التالي من الحلم ، تزداد محاولات التغيير والتبديل .. فأرى ابني في تلك الحجرة الأخرى ، ولكنى لا أراه وهو يسقط بل أراه وهو يرتفع ، وهذا مقترن بحقيقة عن ابني ، فقد كان بارعا في تسلق الجبال .. ولعل هذا هو السبب في ظهوره بملابس الرياضة ! .. وكأنتى بالحلم يحاول أن يغير الحقيقة المؤلمة ، فيصور ابني لى في رحلة رياضية لا في خط النار .. ويشير الى ما أصابه من قبل في تسلق الجبال من وقوع أدى الى كسر ساقه ، وكأن ذلك إشارة الى أن القلق في هذه المرة

سيتمخض عن شيء هين كالمرّة الأولى ..
وأما أن ابني كان يصعد فوق صندوق ليضع شيئاً
على الدولاب في حجرة الخزين الصغيرة ، فهو إشارة لا
لبس فيها إلى مغامرة قمت بها شخصياً وأنا في العام
الثالث من عمري تقريباً لتصل يدي إلى شيء مفر في مكان
عال .. فوقعت وارتطمت بزاوية من زوايا الأثاث فوق
فكي الأيسر ، ولو كانت لي أسنان لسقطت من أثر
الصدمة ..

ولا تخلو هذه الصورة لابني من نوع من العقاب أو
التشفي ، كأنني أوبخه على رعونته .. وتعليل ذلك بلا
شك هو ما في نفوس الكبار من حسد للشبان !
وليس معنى هذا أن الباعث على الحلم هو تحقيق
رغبة الحسد أو التشفي - المكبوتة في اللاشعور - عند
كل متقدم في السن ، بل أن رغبتي الحقيقية هي التخلص
من القلق الاليم على مصير ولدي .. فاتخذ الحلم من تلك
الرغبة المكبوتة في التشفي قوة دافعة للتغطية على ذلك
الشعور الاليم



ومن المستحسن ، على ضوء ما تقدم ، أن أوضح الدور
الذي تؤديه الرغبات اللاشعورية في أحداث الأحلام ..
فأنا لا أنفي أن هناك أحلاماً بأسرها يكون الدافع إليها
عموماً أو كلية آثار متخلقة من مشاغل النهار السابق ،
ولكنني أقول أنه في الغالب لا تتوفر لمشاغل النهار
السابق قوة كافية لصياغة حلم كامل ، فتستعير هذه
المشاغل رغبة لا شعورية ، هي بلا شك قوية لأنها
لا شعورية ، فيتخالف معها لتكوين الحلم المطلوب . وذلك
أشبه بشخص أمامه غاية بعيدة ، وقدماه أضعف من أن
تحملاه إلى هناك ، فيمتطى حماراً أو أي دابة قادرة على

مشاق السير ليصلا معا الى الموضع الذى يعجز بمفرده
عن الوصول اليه !

وبعبارة أخرى ، يمكن أن نقول ان مشاغل النهار
تقوم بدور صاحب الفكرة فى عمل ما ، ولكنه صاحب
فكرة خالى الوفاض ، فلا بد له من شخص غنى يمدّه
برأس المال ويكون شريكه فى ذلك المشروع ، وهذا الممول
الغنى بالنسبة للحلم ، يكون دائما رغبة مكبوتة فى
الاشعور

ولكن من الجائز ان يكون الممول الغنى هو فى نفس
الوقت صاحب الفكرة ، وفى هذه الحالة يكون الحلم هو
تحقيق رغبة لاشعورية اثارها حادث عرضى من حوادث
اليوم السابق

واذا تمسكنا بتشبيه الممول الغنى الذى جعلناه رمزا
لرغبة الاشعورية ، نجد أن الحلم قد تتحقق فيه أى
صورة من صور الاستثمار المالى .. فقد يكون الممول
مساهما بجزء من رأس المال اذا كان صاحب الفكرة
الاصلى يملك الجزء الآخر من المبلغ اللازم ، وقد يقوم
الممول الواحد بتمويل عدة مشروعات صغيرة فى وقت
واحد ، أو قد يقوم عدد من الممولين بالمساهمة فى مشروع
واحد كبير ..

وعلى هذا الاساس ، قد نجد فى حلم واحد تحقيقا لعدة
رغبات فى صور كثيرة متفرقة أو فى صورة واحدة
متداخلة ..

ان أحداث اليوم السابق لها فى جميع الاحوال دور
لا غنى عنه فى أحداث الحلم ، وهذا الدور ، فى كثير من
الاحوال ، يكون غير كاف للقيام وحده بتكوين الحلم ..
ولكن الحلم لا يتكون فى الغالب الا ان لم يكن ثمة
ما يشيره من هذه الأحداث ..

ومعنى هذا ان جميع الاحلام - فيما اعتقد - لا بد ان تكون فيها صلة بشيء حدث في اليوم السابق ، حتى ولو كان هذا الحدث قليل الاهمية جدا .. بحيث يحار الانسان في مبلغ لزوم هذا الشيء التافه لاحداث حلم قد يكون ضخما أو معقدا

ان الرغبة المكبوتة في اللاشعور - مهما كانت قوتها - في حد ذاتها عاجزة تمام العجز عن دخول دائرة الشعور أو الوعي بصفتها الذاتية ، فلا بد لها من التلبس أو التحالف مع ذكرى موجودة فيما قبل الشعور تتخلدها أداة للوصول الى الشعور ، وهذه الذكرى « قبل الشعورية » تكون دائما بقية من مشاغل الفترة الحديثة من فترات اليقظة ..

وتلجأ الرغبة اللاشعورية المكبوتة الى عملية أخرى من العمليات المصرفية ، هي عملية « تحويل الرصيد » ، أى أن الرغبة اللاشعورية تحول الى الفكرة « قبل الشعورية » الحديثة العهد قوتها الدافعة وشدتها المكتومة ومن يدرسون حياة المرضى بأمراض عصبية وسلوكهم ، سيجدون في عملية التحويل هذه تفسيرا طريفا جدا لعدد كبير من التصرفات الغريبة التي كانت تبدو لأول وهلة غير مفهومة

ومما يلاحظ أن الفكرة « قبل الشعورية » التي تتحول اليها شدة الرغبة اللاشعورية قد لا تتحمل أو تتجشم أى تغيير في ظاهرها أو تحريف في حقيقتها عندما تظهر في الحلم ، ولكنها في أحيان أخرى قد تتعرض للتحويل كى تتناسب مع الطاقة الجديدة التي حصلت عليها من غير وجه استحقاق

وأستطيع القارىء عذرا في أن ألبأ الى تشبيه من حياتنا الجارية لتوضيح الموقف .. ان الرغبة اللاشعورية

أشبه بطبيب أسنان حائز على شهادة طبية أجنبية من جامعة غير معترف بها .. فهذا الطبيب لا يستطيع أن يمارس مهنته إلا إذا تستر تحت اسم طبيب مرخص له رسمياً بالعمل في البلاد ..

وكلنا نعلم أن الطبيب الناجح لا يمكن أن يعبر اسمه ستاراً لمثل ذلك النوع من الأطباء غير القانونيين ، فعلى مثل ذلك الطبيب أن يبحث له عن طبيب قانوني فاشل أو خامل الشأن ، فيصل معه إلى اتفاق معقول .. !

وبالمثل فإن الرغبة اللاشعورية غير المصرح لها بالظهور على مسرح الشعور - أو ما قبل الشعور - بصفتها الشخصية .. تبحث عن رغبة أو فكرة مصرح لها بالوجود فيما قبل الشعور ، وبطبيعة الحال لا تطمع في التحالف مع فكرة ذات شأن ، أو لديها فرص قوية للتحقق ، بل تجد ضالتها المنشودة في الأفكار التافهة التي لا تجد بمفردها مجالاً للعمل وتحقيق ذاتها ..

وهذا هو السبب في أن الرغبات اللاشعورية تتخبر ستاراً لها في تكوين الأحلام أحداثاً عرضية تافهة جداً في كثير من الأحيان مما حدث في اليوم السابق أو في الفترة الأخيرة ..

والخلاصة أنه ما من حلم نقوم بتحليله إلا ونخرج من هذا التحليل بخاطر من الخواطر الحديثة العهد بالوعي أو الشعور ، وغالباً ما يكون هذا الخاطر تافهاً أو منبوذاً وثمة سبب آخر لسهولة استخدام هذه التوافه في تكوين الأحلام ، فأنها بسبب تافهتها لا تثير رغبة الرقيب الشعوري ، فلا تلقى أدنى مقاومة ..

وينبغي ألا ننسى أن الخواطر التافهة الحديثة العهد ، تكون غالباً خالية من الارتباط بسائر الخواطر في الذهن ،

فيسهل على الرغبة اللاشعورية التحالف مع هذا الخاطر
المنعزل الخفيف الحركة الذي لا تثقله علاقات ترابط أو
تداعى كثيرة

ومن هنا ندرك أن الذكريات الحديثة التافهة لا غنى
عنها لأحداث الأحلام ، وكما أنها تستمد من الرغبات
اللاشعورية شدتها وأهميتها ، فهي تمد تلك الرغبات
بما تتمتع به من تفاعلة لها أهميتها لتمكين الحلم من
الحدوث على مسرح الشعور وما قبل الشعور



الفصل الثالث من

تطوّر الجراثيم النفسى • لماذا يؤشّظنا الحلم ؟
الكبت • من اللا شعور إلى الواقع



تطور الجهاز النفسى

ولا مناص قبل أن نمضى قدما فى هذه الصفحات أن نتحدث عن أطوار « الجهاز النفسى » .. فهذا الجهاز إنما وصل الى كيانه القائم بعد تطور فى مراحل النمو . فليكن هدفنا الآن هو تصور « الجهاز النفسى » فى بعض أطواره السابقة ..

المفروض أن « الجهاز النفسى » فيما مضى كان هدفه الأول هو الوقاية من المؤثرات ما وسعه ذلك ، ولذا اجتهد أن يتخلص من أى إثارة حسية تأتية من الخارج ، بيد أن استخدام « الجهاز النفسى » فى وظائف الحياة الأخرى حتمت أن يقوم هذا الجهاز بتحويل عمله ، فاذا أحس الرضيع بالجوع ولم يستطع تفريغ هذا الاحساس بحركات الحصول على الطعام مباشرة لجأ الى ما يسمى « التعبير الانفعالى » فيصيح معبرا عن جوعه وحاجته الى الطعام ، ولكن هذا « التعبير الانفعالى » ليس هو الغرض الاساسى من الاثارة الحادثة فى « الجهاز النفسى » لان الغرض الاساسى هو اشباع الرغبة أو الحاجة موضوع الانفعال ..

والملاحظ أن كل تهيج انفعالى يقترب فى « الجهاز النفسى » بذكرى اشباع سابق للحاجة القائمة ، فذكرى خبرة الشبع تقترب مع تهيج الاحساس بالجوع ، ويكون الغرض الاساسى لهذا الانفعال هو تجديد تلك الذكرى بحقيقة واقعية بقدر الامكان، والاندفاع نحو هذا التجديد

هو الرغبة ، والتجديد نفسه هو تحقيق الرغبة ، ويتم تحقيق الرغبة واقعياً في حالة اليقظة ، وعند العجز عن ذلك لسبب من الاسباب يقوم الحلم بتقديم المسرح اللازم لتحقيقها !

وليس هناك ما يمنع من الاعتقاد بأن « الجهاز النفسى » في مراحله السابقة كان يرد على هياج الرغبة باشباع ذاتى وهمى قبل التحقيق الفعلى لتلك الرغبة ، ومعنى هذا أن ما يحدث في الحلم الآن من تحقيق الرغبة كان يحدث في مرحلة سابقة من مراحل التطور أثناء اليقظة العادية

ويبدو أن حدوث الاشباع الادراكى عن طريق التصور وحده قد أثبت فشله ، بحيث اختزلت هذه المرحلة المضللة ، وصار الغرض من التعبير عن الرغبة والوصول الى اشباع فعلى أو تحقيق واقعى لا مجرد التحقيق الادراكى أو التخيلى .. فعندما لا تجد الرغبة طريقها مفتوحا الى التحقيق الواقعى تلتبس المخرج الآخر الممكن وهو الحلم

ومن هنا يحق لنا ان نقول ان الحلم هو محاولة لتحقيق رغبة على نحو ما .. فما من قوة تستطيع تشفىـل « جهازنا النفسى » سوى الشعور برغبة ..

وبتعبير آخر ، يعتبر الحلم وسيلة أولية منقرضة كانت يوما ما جزءا من الواقع الفعلى لحياة اليقظة عندما كانت التكوين النفسى للبشر أكثر بدائية وسذاجة .. فما أشبه ظهور منهج الحلم فى التحقيق الادراكى أو الذاتى للرغبة أثناء النوم بما نشاهده من ظهور أدوات الحرب البدائية المهجورة التى تجاوز الراشدون مرحلتها فاذا بها موضع الحفاوة فى حجرات الاطفال ، لأنها الادوات الوحيدة المتاحة لهؤلاء الصغار مما استغنى الكبار عن استعماله .

كالاقواس ، والسهام ، والنبال ، وغير ذلك
والحلم ، على هذا الاساس ، هو رجوع الى مرحلة
طفلية من الحياة النفسية للبشر ، ويؤيد هذا الافتراض
أن المرضى بأمراض عصبية يحدث لديهم تكوص أو ارتداد
الى مراحل سابقة من النمو النفسى .. فاذا بتحقيق
الرغبة الادراكى أو الذاتى غير المرتبط بالواقع يبدو في
يقظته ، ويعيشون به أو يعيشون عليه بنفس الطريقة
التي يتوهم الاصحاء بها أنهم ظفروا بتحقيق رغباتهم
وهم نيام

وغنى عن البيان أن الرغبات اللاشعورية لا تبقى اثناء
النهار مستسلمة للعجز والخمول ، بل أن قوتها لا تكف
عن النشاط .. وكلما وجدت منفذا الى ما قبل الشعور ،
ثم الشعور ، لم تتردد في المرور منه ولو عن طريق
« التحويل »

والتحويل كما سبق القول عملية شبيهة بعملية
تحويل رصيد النقود من شخص الى شخص آخر ، فاذا
بطاقة الرغبة اللاشعورية الممنوعة وقد تحولت الى رغبة
أخرى مسموح بها أو شبه مسموح بها .. يتم عن طريقها
تحول التيار الاندفاعى من أعماق اللاشعور الى المجال
الشعورى والحركى فى موضع يبدو للنظرة السطحية أنه
لا يستحق كل هذه الحماسة وهذا العنف

أن الذى لديه طاقة لا شعورية عنيفة مكبوتة أو
مكبوتة ، ينتهز فرصة أى عمل يستطيع القيام به فيصرف
فيه طاقته المكبوتة ، وعندئذ يقول التعبير الدارج فى شيء
كثير من الفطنة أن ذلك الشخص ينفس عن همه بذلك
العمل ..

ولعل هذا هو السبب فى أن المرضى بأمراض عصبية
والمجانين يلاحظ عليهم العامة قوة غير منتظرة فى أداء

أبسط الحركات « وحرارة غير متناسبة مع المناسبات الظاهرة ..

ومن هنا ندرك الأهمية الكبيرة لجهاز الرقابة الشعورى أو الواعى ، لأن هذه الرقابة هى التى تمنع الرغبات اللاشعورية من الوصول الى السيطرة على الجهاز الحركى للشعور « ففى أثناء النوم تحتال الرغبات اللاشعورية - كما قلنا سابقا - وتحول شدتها الى خاطر من خواطر ما قبل الشعور كى تظفر بتحقيق صورى فى الحلم ، ولكن الرقيب عند النوم يغلق الباب بالمفتاح على الجهاز الحركى ، فلا تستطيع هذه الصور عند الاصحاء أن تتحول الى تحقيق فعلى عن طريق الحركة ..

وهكذا يكون جهاز الرقابة بمثابة صمام الامان الذى يحول بين الرغبات الممنوعة والتحقق الفعلى أو العملى « ولا يترك لها أثناء النوم الا التنفيذ الادراكى الذى لا ضرر منه ..

ان الرقيب هو « الديدبان » القائم على صيانة سلامتنا العقلية بهذا الاسلوب المشار اليه آنفا ، وقد يكون من الطبيعى أن يظفر هذا « الديدبان » بشيء من الاسترخاء والراحة مدة النوم ، وهذه هى الفرصة التى تنتهزها الرغبات اللاشعورية ، فان هذا لا يحدث الا بعد اتخاذ الاحتياطات التى ذكرناها .. فتظل هذه الرغبات مهما عربت فى حدود التصورات الخلمية عاجزة عن النفاذ الى عالم الواقع العملى « لان الجهاز الحركى فى امان من يدها .. فلا بأس من ترك الحبل لها على غاربه بعض الوقت ما دامت منافذ مواطن الخطر فى امان تام من عبثها وهذا هو الفرق بين نوم الاصحاء ويقظة المرضى العصبيين أو العقلين .. فالاصحاء يفقو جهاز الرقابة عندهم بعض الاغفاء ، وقد احتاط قبل غفوته فأقفل باب

الجهاز الحركى حتى لا تعبث به الرغبات اللاشعورية المعقدة ، ولكن المريض العصبى أو العقلى يغفل الرقيب لديه عن ذلك الاحتياط ، أو يعجز عنه ، فلا يحمى الجهاز الحركى من سلطان الرغبات المتسربة من اللاشعور فى الاحلام ، فلا يتخيل تحقيق رغبته فحسب فى شكل صور ، بل ويحاول فرض ذلك التحقيق على الواقع فى شكل حركات وافعال ، أى فى شكل سلوك !

ان العامل الاساسى فى حالة الحلم هو سيطرة «الرغبة فى النوم» على الرقيب الشعورى ، وهذه الرغبة أو الحاجة الى النوم تقترن باغلاق طريق الجهاز الحركى الشعورى مع شىء من التهاون فى مراقبة محتويات ما قبل الشعور ، وكما ينام القط فتخرج الفيران من الشقوق والجحور ، كذلك تتسلل الرغبات اللاشعورية المكبوتة عندما ينام الرقيب بعض النوم ، وهى تعلم جيدا انه لا ينام مائة فى المائة ، ولذلك لا تجترىء على الخروج سافرة بل تتخذ اقنعة من محتويات ما قبل الشعور كي تمر امام الرقيب الوسنان ! ..

وهى اذ تخرج الى المسرح تجد أجهزة الاعمال والحركة بعيدة عن متناول يدها ، فلا تملك الا الصور البصرية .. وهذه - كما قلنا - لا ضرر منها فى حد ذاتها ، فلا تستحق منا عناء البقاء متيقظين تماما لمنعها من الحدوث وسنحاول هنا أن نوضح أهمية عامل الرغبة فى النوم أو الحاجة الى النوم .. فنشير الى حلم سبق أن تحدثنا فى تحليله ، وهو حلم الوالد الذى رأى فى المنام ابنه المتوفى ينبهه الى اشتعال النار فيه .. وكان الباب بين غرفة الاب وغرفة الميت مفتوحا ..

ان وهج النار من الحجرة الاخرى سقط على بجفون الاب النائم ، فاستدل من ذلك رغم نومه أن النار

اشتعلت في جثمان طفله ، وصور الحلم صورا تتفق مع هذا المعنى ، وقلنا ان هذه الصور كانت تهدف الى اطالة عمر الطفل ، فتحقق بذلك رغبة قوية لدى الحالم ، وتقول هنا انه كانت الى جوار تلك الرغبة رغبة أساسية أخرى بلا شك هي رغبة الاب في النوم نتيجة حاجته الشديدة للراحة بعد طول السهر والتمريض ، ولا سيما بعد أن وضع موت الطفل حدا لكل جدوى من السهر بعد ذلك وهكذا نرى أن الحلم الذي رآه ذلك الاب كان يوفق بين تحقيق رغبتين شديديتين معا ، رغبة يوافق عليها الرقيب كلية وهي اطالة فترة النوم ، ورغبة أخرى هي اطالة عمر الابن أو افتراض أنه لم يزل حيا في زمن ذلك الحلم على الأقل .. وكان الرقيب اذ سمح بهذا الحلم يقول لنفسه :

— خير لك أن تسمح لهذا الحلم بالحدوث — على هذا الوجه — حتى لا تضطر للاستيقاظ فورا والتخلي عن نومك في الحال للبحث عن أسباب ذلك الوهج في الحجرة الأخرى

واذا دققنا النظر في جميع الاحلام ، وجدنا ان الرغبة في النوم أو الاستمرار فيه مشتركة في جميع الاحلام ، وتبدو هذه الرغبة أنشط ما تكون في جميع الاحلام ، قبيل لحظة الاستيقاظ.. فاذا بجميع التأثيرات الخارجية الواقعية كالاصوات ورنين جرس المنبه والنداءات وقد تحولت الى عناصر متوافقة داخل حلم ، الفرض منه صرف الذهن عن جدية هذه التنبيهات الخارجية ، وتحويلها الى عوامل من شأنها اطالة فترة النوم .. وهكذا تتحول هذه التنبيهات من مذكر بالعالم الواقعي الخارجى ، أو عالم اليقظة ، الى جزء داخل في نسيج الحلم أو عالم النوم

وهناك ناحية أخرى يبدو فيها واضحا تأثير عامل الرغبة في النوم أو الرغبة في استمرار النوم .. وذلك عندما يتجاوز الحلم كل حد معقول في تحقيق الرغبة أو التشويه الذى يستعين به لتحقيق الرغبة .. فيتململ الرقيب ، ويهم أن يفرك عينيه ويصحو ليطرد هذه الفيران العابثة الى جحورها .. واذا بشيء يقول له :

— لا داعى لليقظة وحرمان نفسك من النوم ، فانت تعلم ان هذه مجرد أحلام لا خطر حقيقى منها مهما بلغ من أمرها !

وهذا يسوقنى الى نتيجة هامة :

— اذا كنا ندرى أننا نائمون ، فنحن ندرى بمثل تلك القوة أننا نحلم .. ونحن نستسلم للحلم ، أو نسلم به ، مثلما نسلم بالنوم ونستسلم له

وتتفاوت درجات هذا الاحساس بالنوم والحلم لدى الافراد ، فهناك أشخاص يحسون بوضوح أنهم فى حالة نوم وفى حالة حلم .. ولذلك يستطيع هؤلاء الأشخاص التصرف فى أحلامهم كما يتصرف السائق فى توجيه سيارته ، فالحالم منهم اذا لم يعجبه اتجاه أحد الأحلام وضع له حدا من غير أن يخرج من سباته .. وشرع فى تكملة له أكثر اتفاقا مع أهوائه ، فما أشبه هذا بالمؤلف الذى لا تعجبه نهاية مسرحيته ، أو يجد أنها لا تجد هوى لدى الجمهور ، فيحذف الفصل الختامى وينسج خيوط فصل جديد بكل سرعة ولباقة ..

وليس من النادر أن يجد الأشخاص من هذا النوع أنفسهم فى مواقف غرامية أو جنسية أثناء الحلم . وحين يصل الحلم الى نقطة حرجة يشعرون أن من اللائق صرف أنفسهم عن تنمية الموقف مدركين أنه مجرد حلم ، ومنهم

من يحدث منه العكس .. فاذا لام نفسه أثناء الحلم على
تصرف ! صرف هذا اللام قائلا :

— انا أعلم أن هذا مجرد حلم .. لا خرج على من اللهو
وقضاء اللبانة في حلم لا ضرر منه على أحد

والعجيب أن الرغبة في النوم تتوافق مع الرغبة في
تحقيق الأهواء ، ولكن من جهة أخرى نجد الرغبة « قبل
الشعورية » في النوم لدى الأم مشروطة بقيد هو عدم
يقظة الطفل الرضيع أو المريض ، وقد تعجز أشد
الاصوات الغريبة عن إيقاظ تلك الأم ، وإن سببت لها
أحلاما تساعد على إطالة نومها وتجاهل تلك المنبهات
الاجنبية ارضاء للرغبة « قبل الشعورية » في التمتع بالنوم
أطول مدة ممكنة ، ولكن أقل حركة خافتة من طفلها
بالدات تكفى لإيقاظها فورا ، لأن هذا الإيقاظ يأتي متفقا
مع رغبتها « قبل الشعورية » في النوم اتفاقا عن رضاء
تام من الطرفين .. والحارس على هذا الاتفاق هو الرقيب
الشعوري أو « الانية » للام

سج

لماذا يوقظنا الحلم ؟

ان أهم ما يشغل ما قبل الشعور في الليل ، هو الرغبة في النوم أو الاستمرار فيه ، وعلى هذا الأساس نستطيع ان نفهم ما يحدث عند تكوين الاحلام بصورة اوضح .. وتوطئة لهذا نلخص ما حصلنا عليه من معلومات في ان رواسب أحداث اليوم السابق التي لم تفز باهتمامنا أثناء اليقظة تبقى فيما قبل الشعور ، هي وبقايا ما اثاره نشاطنا اليومي من رغبات لاشعورية مكبوتة ، وعند النوم يتلاقى على الحدود الفاصلة بين اللاشعور وما قبل الشعور ما أثر من الرغبات وما أهمل من الخواطر والافكار النهارية ..

وفي غيبة الرقيب أيضا ، تعمل الرغبات اللاشعورية المكبوتة أو المستشارة على تحويل طاقاتها الكبيرة الى بقايا النشاط النهاري المهمة ، والمرجح ألا يحدث هذا التحويل الا بعد الاستغراق تماما في النوم ..

وبعد حدوث التحويل ، تتجه الطاقة الجديدة الى مجال الشعور نفسه مختربة كل طبقات ما قبل الشعور ، وعند الحدود الفاصلة بين ما قبل الشعور والشعور يربض « الديدبان » الرقيب ، وهو أمين جدا في عمله ، ولذلك لا ينام بحواسه كلها ، ولذلك أيضا تعتمد الطاقة المتسللة الى الكثير من التنكر أو عمليات التشويه ، فتصير هذه الطاقة قوة مندفعة ذات واجهة مشوهة ، وتستثير من الذكريات المقترنة بمظهرها الجديد المشوه صورا كثيرة

من مخزونات الذاكرة تساعدنا على أعمال التصوير البصرى التى نسميها باسم الحلم ..

ويزعم «جوبلو» أن الحلم لا يتراعى للنائم الا فى الفترة التى تقع بين التهيؤ لليقظة وبين اليقظة ذاتها ، وبعبارة اخرى أن الحلم يمثل مرحلة « احتضار » النوم ، وهى مرحلة غالبا ما تكون قصيرة جدا .. ولأن صورة الحلم كانت واضحة وقوية نتوهم أن الحلم هو الذى أيقظنا ، مع أن العكس هو الصحيح .. أى أن استعدادنا لليقظة هو الذى جعل صورة الحلم تبدو قوية واضحة ، فليس الحلم فى نظر « جوبلو » الا افتتاحية يقظة ، أو المدخل الى اليقظة ..

ولكن من المعروف للناس جميعا أن هناك أحلاما لا تعقبها اليقظة ، ومن هذه الأحلام بالتأكيد تلك الرؤى التى يعلم الحالم فيها أثناء الحلم أنه يحلم ، أى أنه نائم ، ثم يستمر فى حلمه أو ينتهى منه ويظل نائما ..

انى لا أستطيع أن أقر « جوبلو » على رأيه ، فخيرتى فى الأحلام ، ومجموع نظيرتى لا يتفق مع القول بأن الحلم لا يشغل الا فترة التهيؤ للاستيقاظ

انى على العكس أرى أن الحلم يبدأ قبل النوم ، أى أن جذور الحلم ومقدماته تقع فى صميم حياتنا النفسية ونشاطنا النفسى وجهازنا النفسى أثناء اليقظة ، وأما الجزء الظاهر من الحلم ، أو المرحلة التنفيذية من الحلم التى هى بمثابة الثمرة من نبات له فروع وأصول وجذور ، فيستغرق حدوثه معظم فترة الليل أو كلها ، ولذلك فنحن نرى أن الذى يقرر بعد يقظته أنه ظل يحلم طول الليل محق فى احساسه هذا وليس واهما ، حتى ولو لم يستطع ذلك الشخص أن يتذكر موضوع أحلامه

وعلى ضوء تجربتى الشخصية ، أستطيع أن أقرر بغاية

الطمأنينة أن الاستعداد للحلم قد يستغرق جملة أيام وليال ، وفي هذا ما يفسر لنا البراعة والدقة والغنى التي تمتاز بها الكثرة الغالبة من مشاهد أحلامنا ..
إن الأحلام التي نراها أشبه بالالعاب النارية والصواريخ التي يحتاج أعدادها إلى جهد كثير ووقت طويل ، وإن كان إطلاقها وظهورها في عنان الجو لا يستغرق إلا بضع ثوان !

ولكن هذا لا يقلل من اهتمامنا النظري بتلك الأحلام التي تتسبب في قطع نومنا بشسدة ، فمعنى ذلك القطع للنوم أن الرغبة اللاشعورية أوتيت وقتئذ من القوة ما تغلبت به على الرغبة قبل الشـعورية التي تتركز في الاستمرار في النوم ، ولكن اليقظة في الغالب يعقبها رجوع إلى حالة النوم بسرعة ، شأن من يقطع تيسار مشاهدذه الذهنية ليزب حشرة حطت على طرف أنفه ثم يعود إلى سياق أفكاره من جديد ..

فاذا راعينا هذا كله ، وجدنا أن الاوفق للصحة العقلية هو ترك الرغبات الشعورية تنفس عن شدتها أثناء الحلم ، ولو أدى ذلك إلى ازعاج رغبتنا في استمرار النوم ، وتنبيه الرقيب بفرط عربدتها أو عنفها .. فذلك أدعى للراحة النفسية من مداومة التيقظ للمكبوتات ليل نهار ، فلا تقل خدتها وتظل شدتها تعلقنا وتلدود عنا الراحة

الكبت

اننا نعتقد أن من وظائف الحلم بلا شك أن يقوم بعمل صمام الامان في التنفيس عن الشحنات الزائدة عن الحاجة ، وما أكثر الاشياء الضارة التي تتجرد من ضراوتها وسمومها بعد أن تتناولها الاحلام بالتعبير والتصوير . ونعتقد كذلك أن نفوسنا في الحلم ترتد عن كمالها الراهن ودقتها في التنظيم والكف الى مرحلة بدائية تبدو فيها اقرب الى وسائل الطفولة التي ينقصها الاحكام . ولولا الرغبات المكبوتة والمكبوحة لما تيسرت القوة الدافعة التي تكفى لاحداث الاحلام ..

وقد اتضح مما سبق أن الحلم يتناول بعض الاحداث التي تبقت من نشاطنا اليومي، فيستخدمها كما يستخدم عامل المطبعة الحروف المتناثرة ليؤلف منها وحدة متكاملة وليس من الضروري أن يتم هذا التأليف اثناء النوم ، بل ليس ما يمنع أن يكون هناك تيار فيما قبل الشعور لا نعيه اثناء اليقظة يجمع تلك الشتات ويداول بينها حتى اذا حانت ساعة النوم بدأ العرض السحري . فما اشبه ذلك بالاعمال المتنوعة الشاقة البارة التي تجري طوال النهار في مطابخ بيوتنا ونحن لا نشعر .. حتى اذا دق ناقوس الطعام وجدنا على المائدة صحافا متعددة الالوان واننا لنخرج من هذا بفكرة بالغة الاهمية هي ان من اوجه النشاط الفكرى الشديدة التعقيد ما يمكن أن

يجرى بمعزل عن الشعور التام ويغير اسهام منه ..
ولكن هذه العزلة في التجميع والتأليف لا تعنى ان
المادة المجمعة المركبة من رواسب الشعور في مجال ما
قبل الشعور ممنوع عليها ان تخترق النطاق الى مجال
الشعور نفسه ، ولا بد من البحث عن سبب كاف لبقاء
هذه الافكار قبل الشعورية بعيدا عن مسرح الشعور
اثناء اليقظة ..

ان هذا السبب المباشر الذى يمنع تلك الافكار او
المكونات الحلمية من ان تلج الشعور في حال اليقظة هو
« الانتباه » .. فالانتباه مثل شعاع الضوء لا يسقط الا
على بقعة محددة يتوجه اليها

ومن شأن الانتباه حين يسقط شعاعه على فكرة او
خاطرة ضعيفة او واهية هزيلة لا يمكن الدفاع عنها ، ان
يتحول الى اخرى يبحث عنها .. ويسقط الخاطرة
الاولى من حسابها ، شأنه في ذلك شأن من يبحث عن
اللالىء ، فكلما وجد محارة خاوية نبذها ولم يعلق بها
اهتمامه ، ولكن المحارات المثبوذة لانها فارغة لا تحمى
من الوجود لجرد انها سقطت من حساب صائد اللالىء
ولذلك قد يحدث ان تتجمع المحارات الفسارغة (اى
الخواطر الضعيفة المتهافئة) وتكون فيما بينها كومة او
جبهة ، وهذه الكومة او الجبهة لا يمكن ان يهتم بها
صائد اللالىء ، الا اذا انطلق المصباح وراح يخطب في
البحر على غير هدى .. فانه حرى ان يرتطم بأكوام المحار
الفارغ . وكذلك الانتباه : اذا غفا أمكن للخواطر المهمة
ان تطفو الى سطح الشعور في غيبة هذا الناقد اليقظ ،
ويكون ذلك في فترة النوم ..

وهذا هو مانعني حين تقول ان كواليس مسرح الحلم
التي تعمل بنشاط كبير قبل ساعة رفع الستار هي ما

نسميه ما قبل الشعور .. فعمليات اعداد الحظم عمليات
نسميها قبل الشعورية

ان هذه المجموعات من الخواطر المهمة او المكبوحة
تفتقر غالبا الى التمويل ، او الى الطاقة الحيوية الشديدة
وهي تجد ما تشاء من ذلك التمويل بين الرغبات
اللاشعورية المكبوتة .. فيتسع نطاق الكواليس في هذه
اللحظة ، ولا ينحصر فيما قبل الشعور بل يصل أيضا
الى آفاق اللاشعور المترامية ..

وقد يحدث أن تكون الخاطرة الشعورية نبذت الى
ما قبل الشعور لاقترانها على حسب قواعد تداعى الافكار
بفكرة مكبوتة او رغبة لا شعورية ، وذلك يؤدي من
البداية الى ارتباط بين ما قبل الشعور وبين اللاشعور
ينتهى الى نتيجة مماثلة للحالة الاولى تماما ، وهو تكوين
أحلام تنتهز فرصة النوم لرفع الستار عنها ..

ولكننا ينبغي ان نتنبه الى فرق كبير بين النوعين ،
فالافكار المهمة التي تستطيع الاستعانة بحليف من
رغبات لاشعورية غير عنيفة ، وبحيث يسيطر على
اللاشعور بسهولة ، تحدث أحلاما لا اضطراب فيها ولا
عنف ، وأما الافكار التي ترتبط برغبات لاشعورية شديدة
العنف ، فهي حرة أن تعجز عن السيطرة عليها ، ولذا
يشند الصراع بين الفريقين في مشاهد الحظم ، وتكون
النتيجة تلك الأحلام المتناقضة المزعجة ، وأكثر ما تكون
مصادر هذه الرغبات اللاشعورية من فترة الطفولة الاولى
حيث يشند الكبت .. وهذا يؤدي بنا الى ضرورة
توضيح معنى الكبت

وقد تذكرنا فيما سبق أننا نتصور « الجهاز النفسى »
في مراحل تكوينه البدائى ، وكل همه التخلص من الاثرات
الخارجية والاستجابة للمؤثرات استجابة مباشرة تقضى

على التوتر الانفعالي ، وهذه الاستجابة الحركية المباشرة هي الاشباع ..

وانتقلنا من ذلك الفرض الى أن حدوث الحرمان ، أي عدم القدرة المباشرة على الاشباع الفوري ، تؤدي الى تراكم شحنات الاثارة من غير تفريغ .. فيحدث توتر انفعالي على صورة ألم ، ويصحب هذا الألم تذكر صور الاشباع القديمة ، وهذا هو ما يسمى مبدأ اللذة وما يسايره من قانون الألم عند الحرمان منها ..

والمفروض أن اللذة والألم ينظمان الحياة الفطرية تنظيما تلقائيا ، ولكن العجز عن الاشباع المباشر أدى في مرحلة تالية من مراحل التطور الى وجود نظامين : هما نظام تصور الاشباع أو الاشباع التصوري ، ونظام الاشباع الفعلي أو الاشباع بالحركة في مجال الواقع لا في مجال التصور . والنظام الاول هو الذي يصدر عنه الحلم لدى الاصحاء والاهام المرضية لدى الملتاثين في اليقظة ، واما النظام الثاني فهو نظام اليقظة الذي يقوم على حراسته الرقيب أو الانتباه أو الانية العليا ..

وبسبب قيام هذين النظامين المتمايزين وجب أن ينفصل اللاشعور الذي تحتجز في أعماقه المكبوتات بعيدا عن التصور وعن الفعل معا ، عن ما قبل الشعور الذي ترسب فيه الخواطر الخالية من الاهمية والتي لا بأس من ورودها في نظام التصور أو الوهم .. ولكنها ممنوعة على كل حال من الدخول في مجال السلوك الحركي

وخبرتنا في الاحلام تؤكد لنا أن الرغبات المكبوتة والخواطر المكبوحة لا تنعدم بل تظل محتفظة بطاقتها النفسية ، سواء كان الشخص سليما أو مريضا .. فالحلم في حد ذاته هو الدليل الحى على حيوية تلك الرغبات والخواطر ..

وهذا حرى أن يقود الى القول بأن تفسير الاحلام هو
السكة السلطانية المؤدية بنا الى ارتياد كل ما هو غير
شعورى أو غير واع من جوانب نشاطنا النفسى ، وهذا
وحده كاف للقول بأن تفسير الاحلام على ضوء منهج
التحليل النفسى شىء بالغ الخطورة فى تعريفنا بحقائق
تركيبنا النفسى ومتاعبنا النفسية .. انه الفواصة التى
تستطيع دون غيرها أن تزودنا بعينسات وحفريات
ومعلومات عن الحياة العاتية المتوارية عن عيوننا فى أعماق
البحار ، ولها مع ذلك قوانينها الخاصة وأبعادها المترامية
وأطوارها العجيبة رغم جهلنا الطويل على مدى القرون
بذلك كله ..

بل ان هذا التشبيه أقل من الواقع ، لان ما هو خارج
شعورنا من جوانب حياتنا النفسية وثيق الصلة جدا
بجهازنا النفسى كله وبأفعالنا وانفعالاتنا ..

ولا مفر من القول بأن أهمية تفسير الاحلام فى الكشف
عن أغوار النفس تزداد كثيرا بالنسبة للحالات المرضية ،
لأنها ستكشف لنا لدى المرضى عما فى داخل « جهازهم
النفسى » من تصدع أو تفكك فى مواضع معينة



من اللاشعور الى الواقع

وهناك معارضون يصرون على أن ما هو نفسى مرادف لما هو شعورى .. فما لا نشعر به فهو ليس من أنفسنا أو من نشاطنا النفسى ، ولو صح قولهم لكانت دعوانا بأن هناك عمليات نفسية لا شعورية « أو قبل الشعورية » فيها نوع من الخلط أو التناقض ، ولكن معنى هذا أيضا أن جميع ما يحصل عليه طبيب الامراض العصبية من ظواهر نفسية مرضية لا قيمة له « مع أن هذا هو حجر الزاوية في بناء الطب النفسى ورسم الطريق للعلاج النفسى

وحسبنا أن نقول لهؤلاء ان الصفحات السالفة من هذا الكتاب تحفل بعمليات عقلية مركبة أشد التركيب ، تم الجزء الأكبر منها في غفلة من الشعور وبعيدا عن مجاله « وهى حقيقة تكفى في حد ذاتها للجزم بأن جزءا لا يستهان به من حياتنا النفسية يقع خارج دائرة الشعور أو الوعى وهذا يسلمنا الى القول مع « دوبريل » بأن الشعور والنشاط النفسى أو النفس شيئان - أو مفهومان - ليسا سواء من حيث « الماصدق » ، وهو كلام فلسفى ترجمته أن الشعور والنشاط النفسى ليسا مترادفين ، وأن كل ما هو شعورى فهو نشاط نفسى حتما .. ولكن العكس ليس صحيحا ، فليس كل نشاط نفسى شـعـورـيا بالضرورة ..

اننا أمام حقيقة علمية لا مناص من التسليم بها ، وهى

أن اللاشعور هو أساس « الجهاز النفسى » .. انه المحيط
الواسع الذى يحتل الشعور جزءا محدودا من سطحه ،
لان كل ما هو شعورى انما يأتى نتيجة لسلسلة من
التمهيدات اللاشعورية ، وفى الوقت نفسه ليس من
الضرورى أن يجد كل ما هو لا شعورى طريقه الى
الشعور ..

ان من العمليات اللاشعورية ما يظل الى النهاية
لا شعوريا ، ولكن هذا لا يقلل من قيمته .. كما أن
عمليات امتصاص الغذاء من التربة تظل فى حدود الجذر
من النبات ولا يقلل ذلك من أهميتها .. مع أننا لانراها
بأعيننا كما نرى الاوراق والبراعم والثمار

ان اللاشعور هو الحقيقة النفسية الكبرى ، وفى أفواره
الخفية المجهولة منا آلاف الاشياء التى تؤثر فىنا ونحن
لا ندرك .. بل ان ما يتبدى من نتائج اللاشعور فى دائرة
الشعور لا يمكن أن يبدو لنا على حقيقته « بل بعد
تعديلات وتشكيلات ضرورية ..

اننا لا نعرف عن حقيقة العالم الخارجى الا ما تصوره
لنا حواسنا ، فليس هناك ما يثبت لنا أن من نراه أحمر
اللون انما هو أحمر فى حقيقته فعلا ، وان ما نحسه
ساخنا انما هو حار فى حقيقته فعلا .. فكل ما نملكه من
وسيلة للتعرف الى العالم الخارجى هو تصوير حواسنا
لتلك الاشياء الغريبة عنا ، وكذلك الحال بالنسبة
للاشعور .. فنحن لا نعرف ما به من حقائق وموجودات
الا عن طريق ما يصوره الشعور من تلك الموجودات
المجهولة منا ، فاللاشعور الصق ما يكون بنا وأبعد ما يكون
عن ادراكنا ..

وان التسليم بوجود اللاشعور هو الاساس الحاسم
لتوضيح الصلة الحقيقية بين مجال الشعور ومعطيات

الاحلام ، فلم تعد الاحلام خارقة من الاعاجيب ، ولا فعلا من أفعال الجان ، ولا نذيرا من نذر الغيب .. بل انها نتيجة طبيعية لنشاط طبيعي لذلك الجزء المحجوب عنا من النفس ..

بل اننا نعرف الآن ان الطاقة العقلية التي تبدو ناشطة في الحلم ليس لها مصدر آخر سوى المصدر الذي تنبع منه الطاقة العقلية أثناء اليقظة . ومرة أخرى يكون رأى المعلم الاول « ارسطو » أقرب على عراقته في القدم الى النظرة العلمية الحديثة ، وهو يقول ان الحلم انما هو تفكير النائم من حيث هو نائم .. فما أقرب ذلك الى القول معنا بأن الحلم انما هو صورة بصرية تعبر عن اندفاع طاقة نفسية ، كانت تصدرها اليقظة ، فوجدت فرصتها للتسلل متخفية متنكرة تحت جناح الليل ..

وبين أعماق اللاشعور التي لا تسمح لها طبيعتها بالخروج على ما هي عليه الى مسرح الشعور ، وبين ذلك المسرح شقة من الارض الحرام هي الذي نسميه ما قبل الشعور ، وهو الذي يقوم بدور الوسيط وينفذ منه التسلل الذي نسميه تعبيرا بصريا بالاحلام عن الطاقات اللاشعورية ..

ان ما قبل الشعور هو الذي يفترض فيه اغلاق المنافذ بين اللاشعور والشعور ، وهو في الوقت نفسه يقفل المنافذ الى جهاز الحركة الارادية أو الشعورية في الإنسان ولعل سائلا يتساءل الآن :

— ماذا بقي من عمل للشعور بعد أن انكمش ههنا الانكماش في حدود ضيقة جدا تطفو فوق سطح المحيط النفسي ؟ ..

وجوابنا أن الشعور في مذهبنا وظيفة حسية لادراك الحالات النفسية .. لا أكثر ولا أقل ..

وما من شك في أن تكوينات « الانية » العليا للانسان تتمثل في الرقيب الشعوري الذي يقف على الحدود بين الشعور وما قبل الشعور ، وأن الكثير من عملياتنا النفسية يتوقف على دقة قيام ذلك الرقيب وأمانته ويقظته وفطنته ، ومن أهم مظاهر نشاط هذا الرقيب ما ينتاب احلامنا من تنكر او تشوية توقيا لاثارة ريبته وأعمال المصادرة التي يقوم بها في حزم وشدة ..

ولا شك أن الكثيرين من المتشككين يتساءلون عن قيمة مثل هذا البحث بالنسبة للأشخاص الطبيعيين الاصحاء ولا شك أيضا في أن المتزمتين يشمئزون من بحث هذه الدراسة للنزعات الغريزية المكبوتة والكشف عن نشاطها المنافي للأخلاق في عرفهم ..

وأنا لست على مذهب هؤلاء المتزمتين ، ولا أرى أنه يحق لنا الاعراض عن نتائج الكشف العلمية لا شيء إلا لأنها تخالف هوانا أو تجرح حيائنا ، وفي اعتقادي أن ذلك الامبراطور الروماني الذي امر باعدام أحد رعاياه لانه حلم باغتياله قد اقترف خطأ فادحا ، وكان الاجدر به أن يحاول الكشف عما وراء ذلك الحلم من حقائق نفسية ، وليته وعى جيدا كلمة افلاطون الحكيم :

— الانسان الفاضل لا يتجاوز بشروه دائرة الاحلام ، أما الشرير فلا يكفيه الحلم بل يتجاوزه الى الفعل .. !

وذلك حري أن يجعلنا نتسامح في شأن الاحلام . على اني أتبه بشدة ووضوح الى أن الرغبات اللاشعورية في نظري موجودة قطعا في أغوار النفس وتفصح عن فاعليتها القوية قطعا في الاحلام ، ولكن ذلك لا يمنحها في نظري الحق في الوجود خارج دائرة النفس ، أي في عالم الواقع ، وأنا لا ادعو الى الانتكاس في التربية والاخلاق بحيث ننقاد لرغباتنا اللاشعورية لمجرد الاعتراف لها بالوجود والقوة

في مجالها النفسى الخفى .. فللأخلاق والتربية حكمهما
وسيادتهما على عالم الواقع ..

وانى أرفض بشدة كذلك أن يكون نشاط اللاشعور
كما يتبدى فى الاحلام أساسا للحكم على أخلاق الشخص
أو طباعه ، فنحن لسنا فضلاء لاننا بلا غرائز قوية .. بل
نحن فضلاء لاننا نعرف كيف نتحكم فى مستوى شعورنا
فى غرائزنا ورغباتنا اللاشعورية بالغة ما بلغت من القوة



أما أن الاحلام كوة نرى منها لمحة من الغيب والمستقبل
فذلك باطل .. لان الحلم انما يصور الماضى ويصدر عنه
ويعبر عن مكنوناته المطوية أو المنسية ..

وكل ما للحلم من صلة بالمستقبل انه يصور لنا رغباتنا
التي كتبها الماضى أو كبجها ، وقد تحققت على صعيد
الحاضر أو فى فترة من فترات المستقبل ..

ان الحلم أولا وأخيرا محاولة تحقيق رغبة لم تتم ..
محاولة قد تكون واضحة ناجحة أو ملتوية متعثرة
مشوهة ، ولكنها محاولة على كل حال ..



وكلاء مجلات دار النهضة

العراق : السيد محمود حلمي - المكتبة العصرية
ببغداد

اللاذقية : السيد نخلة سكاف

جدة : السيد هاشم بن علي نحاس - ص.ب ٤٩٣

البحرين : السيد مؤيد احمد المؤيد - ص.ب ٢١

البرازيل : Dr. Michel H. Tomé,
Praça Do Colegio No.
3º Andar — Sala 9
SAO PAULO — BRASIL

غانا : Mr. Hussein Abi Hassan,
P.O. Box 2561,
ACCRA, GHANA

سيراليون : Messrs. Allie Mustapha & Sons,
P.O. Box 410,
Freetown Sierra Leone

سنغافورة : M. Ahmed Bin Mohamad Bin Samat,
Almaktab Attijari Asshargi,
P.O. Box 2205,
SINGAPORE

انجلترا : ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU,
7, Bishopsthorpe Road,
London S. E. 26,
ENGLAND

نيجيريا : Mr. Mohamed Said Mansour,
Atlas Library Company,
126, Nnamdi Azikiwe Street
LAGOS NIGERIA

هذا الكتاب

خطت الانسانية في هذا القرن
مرحلة أكبر مما خطته في عشرة
قرون مجتمعة من تاريخها . .
وفيه اكتشف الفضاء ، فكان
ذلك كشفا أضخم من كشف
الأمريكتين على يد كريستوفر
كولمبس ، ولكن عالم النفس
الانسانية لا يمكن أن يكون أقل
قيمة بحال من الاحوال من عالم
الفضاء أو قارة من قارات الارض
وكولمبس النفس الانسانية هو
سيجموند فرويد ، وسفينته التي
عبر بها عن بحة المجهول من أغوار
النفس هي كتاب « تفسير الاحلام »
الذي نقدم خلاصة مبسطة منه بين
دفتي هذا الكتاب

وقد ظل موضوع الاحلام منذ
أقدم العصور مصدرا للرغبة أو
التفاؤل بين عشائر الشرق
والغرب ، ولم يزل الناس في
يومنا هذا يتطيرون لما تحدثهم به
رؤى المنام ، ولكن سيجموند فرويد
ألقي بذلك كله جانبا ، ووضع
لاول مرة في التاريخ أساسا علميا
ثابت الدعائم متماسك الاركان
لتفسير هذه الظاهرة